330

HARLEQUIN

روايات أحلام

الهدية

مارغريت واي

www.elromancia.com
مرمورية

الهدية

- لماذا تكرهني إلى هذا الحد ؟
- ربما لأنك آذيتني كثيرا ... هل تشعرين بالذنب يا فاتنة ؟
كيف استطعت أن تكذبي بهذه السهولة ؟
لم يستطع لانغ فورسيث أن يمنع نفسه من الإحساس بالتوتر الشديد عندما رأى شريكه برفقة تلك الشابة الجميلة . لكنه سرعان ما أدرك أنه هو أيضا لا يستطيع مقاومة سحر تلك الفتاة !
شكوك كثيرة تساوره ... لعل إيدن سنكلير ليست بريئة كما تبدوله ! ولربما يحتاج أن يتقرب منها أكثر ليكشف غموضها والأسرار المحيطة بها ...
لكن إذا علم لانغ من هي إيدن حقا هل تتبدد غيوم الشك أم تزداد تلبدا ؟!

مارغريت واي

تستمتع مارغريت كثيراً بعملها وتعمل جاهدة للحفاظ على متعتها هذه. في العطلة، تحب أن تقصد شاطىء البحر مع عائلتها كما تجد لذّة كبيرة في ارتياد المعارض والمتاحف وصالات البيع بالمزاد العلني.

ولدت وشبّت وتلقت علومها في مدينة برسبين النهرية، في أستراليا. وهي اليوم تعيش في أضواء وأصوات مدينة موريتون باي الجميلة.

تمهيد

جاهد أوين كارتر عشرين عاماً لينسى أن له ابنة من لحمه ودمه فلم يستطع، رغم أنه لم يرها لحظة واحدة قبل هذا اليوم الكئيب المكفهرّ. لقد اجتاز أكثر من ألف ميل ليجلس في مؤخرة تلك الكنيسة الحجرية القديمة ويفكّر في ذلك الرباط الوثيق الذي جمعه يوماً بكاساندرا والذي لا يزال يسكن قلبه وفكره.

وفاتها المأساوية في سن الثالثة والأربعين لم تكن متوقعة على الإطلاق. كانت الذكريات لا تزال تعذّبه وهو يشارك في مراسم دفنها ويحدّق بشوق إلى وجه شبيه بوجه كاساندرا. حتى إنه شعر برغبة عاصفة في الاقتراب من تلك الشابة، وكاد يفعل، لكنّه لم يجرؤ. ليس الآن! لقد بدت ابنته نسخة ناطقة عن جميلته كاساندرا، بشعرها الحريري الأسود وعينيها البنفسجيتين الرائعتين اللتين يتغير لونهما بحسب ثيابها وحدّة طباعها. أما في هذا اليوم الأليم، فكانت عينا ابنته الدامعتان وهي تتبع نعش أمها المكلّل بالأزهار، مائلتين إلى الزرقة، وبشرتها البيضاء كالحليب شاحبة جداً بالمقارنة مع شعرها الداكن. لم يلتقيا يوماً، ولكنّه كان ليعرفها في أي مكان يراها فيه، وكأنما كاساندرا قد عادت إليه.

عيناه المسمّرتان على ابنته، اخترقتا بشكل ما جوّ الحزن والألم الذي يلفّها، فاستدارت نحوه فجأة وكأنها أحسّت بنظراته المركزة عليها. بدت نظرتها عميقة ومباشرة تشبه إلى حدّ بعيد نظرة كاساندرا، فأفلتت من أوين

شهقة خفيفة وغاصت كتفاه إلى الأسفل وكأنه تلقّى ضربة عنيفة. إنها ابنته! يا إلهي! ذلك الحب العظيم المدفون في قلبه أبصر النور أخيراً، ولن يوقفه شيء!

لا بد أن الرب اكتفى من تعذيبه. فقد احتبس كاساندرا وإيدن في قلبه، ظنًّا منه أنه بهذه الطريقة يحمي الطفلة. لكنه الآن أصبح مستعدًّا لمواجهة التحدي: هذه ابنتي! هذه لحمي ودمي! إنها ابنتي!

١ ـ شك وافتتان

غادر لانغ وأوين الاجتماع معاً.

ـ لقد سار الاجتماع على أتمّ ما يرام.

قال لانغ هذا راضياً وهو يمرّ بين الموظفين المتوجهين لتناول الغداء، وقد بدا واثقاً جداً من نفسه.

ـ كل ذلك بفضلك.

اعترف أوين بذلك بعاطفة ظاهرة ثم تابع قائلاً: «ظننت نفسي مفاوضاً قوياً، لكنك تفوّقت عليّ».

ـ لكن، ألم يكن هذا ما تريده؟

ألقى لانغ نظرة جانبية إلى وجه شريكه. ورغم أن أوين بدا أنيقاً أكثر من أي وقت مضى، إلاّ أن ذلك الاندفاع القديم قد اختفى من وجهه. فخلال الأشهر الستة الماضية، بدا أقل اهتماماً بمصالح شركته العملاقة.

لقد أبعد نفسه نوعاً ما عن حياته العادية وكأن تركيزه منصبّ في مكان آخر.

بدا الأمر غريباً ومثيراً للاضطراب، وكذلك كانت رحلاته الشهرية إلى عاصمة الولاية «بريزبان»، والتي لم يكشف أوين أسبابها لأحد. وهذا لا يعني أنه مضطر للقيام بذلك. أوين كارتر لا يبرر تصرفاته أمام أي كان، حتى أمام شريكه أو زوجته ديلما. فخلال الشهر الفائت، كان على لانغ أن يحلّ مكان أوين في اجتماع عمل في سنغفورة، ولم يستطع الاتصال به مدة يومين، مع أنهما عادة يبقيان على اتصال دائم. يومها، كان أوين قد رحل. ولكن إلى أين؟

www.elromancia.com

رأى لانغ في ذلك تبدّلاً كبيراً في ميزان علاقتهما، وهذا الأمر أثار غضبه. منذ عشر سنوات خلت، تخرّج لانغ بامتياز من الجامعة حيث تخصص في التجارة وقدّم طلب توظيف في شركة كارتر، وسرعان ما فاز بالوظيفة متخطياً عشرات المرشّحين الكفوئين.

لقد أحبّ الأعمال الكبيرة والمشاريع العملاقة، تماماً مثل أوين. وأظهر أن بإمكانه تنفيذ أي عمل يوكله إليه أوين، وهذا ما حصل. فقد أحبه أوين ووثق به، وفهم أحدهما الآخر وغدا لانغ كفرد من العائلة ومن الشركة التي يعمل فيها على أرفع المستويات.

لا بد أن هناك قصةً ما! لقد لاحظ الجميع هذا التغير الكبير في أوين، لكن أحداً لم يسأله عن السبب، ولا حتى ديلما. ولو لم يكن أوين على هذا المستوى من الأناقة، لساورهم الشك بإصابته بمرض ما. أما التفسير الآخر المحتمل لرحلاته السرية تلك فهو أن تكون لديه علاقة غرامية، مع أن ذلك يبدو سخيفاً. فخلال السنوات الإثنتي عشرة من زواجه بالجذابة ديلما التي تصغره بعشر سنوات تقريباً، لم ينظر أوين إلى امرأة أخرى، مع أن كثيرات حاولن إغواءه. أما ديلما، فقد كان لديها استراتيجية محكمة للإيقاع به. ولم لا؟ فهو وسيم وثري، ويحتاج إلى زوجة ووريث. وقد أقنعته ديلما أنها الشخص المناسب لهذه الغاية.

لكن أوين بات مؤخراً غامضاً جداً ولم يكن من حسن السلوك اقتفاء أثره، فكان لانغ معظم الوقت يفكّر في ما يجري في حياته.

أوين رجل متزوج ولديه ابن صغير، ومكانته مرموقة في عالم الأعمال. لِمَ إذن يعقّد حياته بعلاقة سرية؟ هذا إذا ما افترضنا أن السر في حياة أوين يدور حول امرأة.

كان لانغ يمشي إلى جانب أوين، غافلاً عن النظرات التي تلاحقه

بإعجاب، فالأعمال والإنجازات هي كل ما يهمّه. لقد سعى وراء النجاح بعد أن تعرّض والده للإفلاس وخسر مزرعة العائلة.

عاش أفراد عائلة «فورسايت» لأكثر من مئة عام في مزرعة «ماريللا داونز» تلك، إلى أن فقدها والده بعد أن تعرّض للإفلاس مرات عدة. وقد توفي بعد ذلك بسبب عقدة الذنب التي تملّكته لخسارته إرث العائلة. لم يعش والده ليراه يتخطى كل تلك الخسارة شيئاً فشيئاً لكن أمّه بلى. فها هي بربارا فورسايت تعيش مجدداً في ماريللا داونز، بعد أن وضع لانغ نصب عينيه استعادتها. لكن أعماله الكثيرة في شركة كارتر ـ فورسايت، لم تترك له وقتاً لإدارتها، فتولاها صهره «براد كارسون»، زوج أخته جورجيا. ثم اشترى براد حصة فيها. وهكذا، عادت عائلة فورسايت إلى ماريللا داونز مع الجيل الجديد الذي يمثّله ابن أخته راين فورسايت كارسون البالغ من العمر ستّة أعوام.

تناول لانغ وأوين طعام الغداء في النادي، وهو مبنى قديم جميل يشرف على الحدائق. ارتاح الرجلان حول المائدة وراحا يتحدثان بأمور كثيرة، إلى أن قال أوين: «هلاّ قابلت آرثر كنوكس بدلاً مني بعد الظهر؟».

طرح أوين السؤال وقد بدا الاعتذار في عينيه الداكنتين اللّتين لمعت الإثارة فيهما: «عليّ إنجاز بعض الأمور».

ـ ما من مشكلة.

وكان هذا الردّ الوحيد الممكن. آرثر كنوكس هو شريك مهم في مؤسسة كنوكس ـ فرايزر، كما أنه محامي شركة كارتر ـ فورسايت.

ـ هل نلتقي عند العشاء؟

ردًّا على سؤال لانغ، أجاب أوين بعينين غامضتين: «يا ليت! لكنني سأتناول العشاء مع دراموند. أتذكره؟».

ـ القاضي دراموند؟

ـ هو بنفسه.

قال ذلك بشكل آلي وكأنه تمرّن على حفظه ساعات وساعات. وعندما عادا إلى الشارع مجدداً، تودّعا. لاحظ لانغ أن الوقت تأخر أكثر مما كان يظن، فانطلق بسرعة نحو مكتب كنوكس. مرّ الرجلان وهما يخرجان من النادي بالكثير من الشابات الجميلات لكنّ أوين لم يستدر لينظر إلى أيّ منهنّ. فلِمَ يساوره القلق بأن يكون أوين متورطاً في علاقة غرامية؟ وإذا كان الأمر صحيحاً، فقد تقضي هذه العلاقة العابرة الغبية على زواج دام سنوات، والمسكين روبي سوف يتأثر بانفصال والديه.

النساء! إنهنّ سبب الكثير من الألم بشكل أو بآخر.

كان لانغ معروفاً في الفندق، لذا فضّل الذهاب إلى مطعم لا يعرفه فيه أحد بدلاً من تناول العشاء في صالة الفندق حيث يأكل عادة عندما يذهب إلى العاصمة.

بعد أن ارتدى بذلته الإيطالية المصنوعة من أجود أنواع الصوف الأسترالي، استقلّ لانغ المصعد لينزل من غرفته إلى قاعة الاستقبال ومن ثم إلى الباب الخارجي. بإمكانه أن يذهب سيراً على القدمين إلى المطعم الذي اختاره.

خصص له النادل طاولة مستقلّة منعزلة بعض الشيء، وهذا بالضبط ما كان يريده. لم يكن المطعم مكتظاً. وبدا أن زبائنه من رجال الأعمال المتأنقين برفقة زوجاتهم أو صديقاتهم. أما المطعم بحد ذاته، فبدا رائعاً بأنواره الخافتة المنعكسة على الموائد والمقاعد والأواني الصينية المزخرفة والكؤوس المتلألئة. وقد زينته الشتول المورقة المزروعة في أحواض نحاسية كبيرة متدلية من النوافذ العالية التي تطلّ على النهر وأضواء المدينة.

جلس لانغ بالقرب من إحدى النوافذ، محجوباً بعض الشيء بتلك

الشتول العالية، وطلب طبقاً من الكركند وآخر من اللحم بالإضافة إلى كوب من المرطبات. نظر حوله وهو يفكر في أن هذا المكان ليس سيئاً على الإطلاق وهو قريب أيضاً من الفندق.

كان مذاق الكركند لذيذاً جداً وكذلك اللحم، فكوينز لاند معروفة بثمار البحر. راح لانغ يراجع قائمة الطعام بحثاً عن تحلية لذيذة. وأخيراً اختار «الجيلاتو آل سبيزييه» وهي مثلجات بطعم التوابل.

كان النادل يحوم حوله جاهزاً لتلبية طلباته، وكان لانغ على وشك أن يطلب المثلجات. لكن، عندما رفع نظره، رأى مشهداً شلّه تماماً.

ما كان غير مؤكد بالنسبة إليه أصبح واقعاً ملموساً لا مفرّ منه. كان أحد موظفي الاستقبال يرشد أوين إلى طاولته، فيما بدت على وجهه الوسيم ملامح القوة والفخر. كانت برفقته أجمل امرأة وقعت عينا لانغ عليها في حياته، رغم أنه رأى الكثير من الجميلات. بدت المرأة طويلة القامة، نحيفة القوام، ذات شعر حريري أسود تلتف خصلاته بشكل رائع على كتفيها. وبدت بشرتها في ظل الأنوار الخافتة بيضاء نضرة كزهرة الكاميليا. لكن أكثر ما يخطف الأنفاس في جمالها، عيناها اللّتان بدتا بلون الأرجوان. إنما لا أحد حتماً يتمتع بعينين أرجوانيتين، لعلّهما قاتمتي الزرقة. يعلو عينيها الآسرتين حاجبان مرسومان بإتقان، أما ملامح وجهها فصغيرة ناعمة، ما ذكره ببطلة فيلم «ذهب مع الريح». ولكن على الرغم من جمالها وأناقة ملبسها، لم يشعر لانغ بالإعجاب نحوها إنما بالإدانة ولا شيء سوى ذلك.

هذه هي إذاً عشيقة أوين الغامضة، التي حرّرته من صدمات الماضي. حدّق لانغ إليها لحظات لا تنتهي. ها قد وجد السر من دون أن يكلف نفسه عناء البحث. لا بد أنها السبب الذي يكمن وراء التغيير الذي أصاب صديقه، فهو لم يرَ يوماً هذا القدر من العاطفة الظاهرة على وجه أوين. لقد

وقع أوين حتى أذنيه في حب شابة تكاد تكون بسنّ ابنته. وهذه الفكرة ملأت لانغ رعباً وحوّلت مذاق العصير الذي يتناوله إلى مرارة.

كيف ستتمكن ديلما من منافسة هذه الشابة؟ مع أنها هي نفسها امرأة جذابة للغاية، وتهتم أشد الاهتمام بالجمال الذي منحها إيّاه خالقها. لكن لانغ يعلم أنها لم تشعر يوماً بالأمان في زواجها. في الواقع، تثق ديلما بما يكفي بزوجها، فهو يؤمن لها وللصبي كل ما يحتاجانه من أمور مادية، ولكن يبدو أن أوين قدم كل شيء ما عدا حبّه. وقد جاهدت ديلما لتبقي شعلة زواجهما متّقدة. فهي امرأة مضيافة وسيدة مرموقة في الأوساط الخيرية. لكن كل ذلك غدا الآن مهدداً بالضياع، فهو لم يرَ أوين يوماً سعيداً إلى هذا الحد، وكأنه يملك سرًّا عظيماً.

أتراه يعيش نزوة ومرحلة طيش عابرة؟ أوين رجل وسيم، أسود الشعر، قوي الملامح، داكن العينين. لسوء الحظ، أنه لم يقع يوماً في حب زوجته، رغم أن الحب يشع منه الآن وهو يتوجّه إلى إحدى الموائد المجهّزة لشخصين، بالقرب من الواجهة الزجاجية. لا بدّ أن أوين مسحور بتلك الشابة، حتى الأعمى يمكنه أن يشعر بذلك.

أخذ لانغ نفساً عميقاً مرتجفاً. كيف يمكنه الخروج من هذا المكان من دون أن يراه أوين؟ يا إلهي! لا يذكر أنه واجه يوماً وضعاً بهذا السوء. فأوين ليس فقط شريكه إنما صديقه أيضاً. ولا يمكنه أن يطلب منه شرحاً، سيكون ذلك تطفلاً منه. وعلى الأرجح لن ترضى كبرياؤه بهذا التدخل حتى من قبل لانغ. لذا كل ما يمكنه القيام به هو الانتظار إلى أن يسرّ إليه أوين من تلقاء نفسه، غير أن هذا الأخير لم ينطق بكلمة واحدة خلال الأشهر الستة الماضية.

جلس الثنائي إلى طاولتهما، فاستطاع لانغ أن يرى ظهر أوين وكتفيه العريضتين تحت سترته الثمينة. راح يتأمل عيني تلك الشابة المسمّرتين على

أوين وهو يتكلم. لم تشرد نظراتهما ولو مرة، كما يفعل كل من حولها، وكأنها هي بدورها مسحورة به. وعندما تكلّم أوين، سمع لانغ رنّة ضحكتها العذبة. ما الذي يجري بحق الله؟ على الرغم من كل الشكوك التي اعترته، بدا لانغ مصعوقاً لرؤية أوين مع تلك الفتاة.

ها هي الآن تلمس سترة أوين، فأمسك هذا الأخير بيدها بكل حب. أين وكيف التقاها؟ راح لانغ يقول في سرّه: إيّاك أن تفعل ذلك يا أوين! أنت رجل متزوج ولديك طفل. إنها صغيرة جداً عليك. تبدو في أوائل العشرينات.

طلب أوين العصير، وبينما كان النادل يسكب المرطّب في كأسيهما راح لانغ يراقبهما. بدا له ذلك مشيناً ولكنه لم يستطع أن يشيح بنظره عنهما. ابتسمت عينا الشابة لأوين من فوق حافة كأسها، فبدت نظرتها رقيقة، مليئة بالحنان. لا بدّ أنها جعلت أوين يشعر بأنه شاب في الثانية والعشرين من العمر. لكنه ليس كذلك، من الغرابة أن تتمكن امرأة جميلة من جعل بعض الرجال يشعرون بلذة العيش مجدداً. إن أوين الذي يعرفه مختلف جداً عن هذا الذي يراه.

يبدو أن لديهما الكثير ليتكلما عنه. وكان أوين غالباً ما يمسك بيدها، حتى أن لانغ كاد يشعر بقوة قبضته.

وفجأة شعر بالاشمئزاز. الاشمئزاز من نفسه لجلوسه هناك كالمتطفلين، ومن أوين لخيانته زوجته وابنه، والأكثر من ذلك من تلك المرأة. لا بد أنها تعرف أن أوين متزوج، فلا يُعقل ألاّ يكون قد أخبرها بذلك. ونظراً لاستغراقهما ببعضهما، لا بد أنها سألته عن الأمر. أتراه كذب عليها وأخبرها بأنه أرمل أو مطلّق؟ أو ربما لا يهمها وضعه العائلي ما دام ثرياً.

ظهورهما معاً زعزع أمسية لانغ، فأومأ إلى النادل وسأله إن كان بإمكانه أن يخرج من المطعم من دون أن يراه أحد، فأجابه النادل بالإيجاب.

دفع لانغ الحساب بواسطة بطاقته المصرفية، وراح ينقر بأصابعه على الطاولة منتظراً عودة النادل. ويبدو أن المرأة لاحظت الصوت أو أن نظراته لفتت انتباهها، فقد اتجهت العينان الجميلتان المشعتان نحوه واتّسعتا عند رؤيته. انفرجت شفتاها دهشة وكأنها قرأت الإدانة في أفكاره من دون أن يتلفظ بأي كلمة، فاحمرّت وجنتاها وخمدت الابتسامة على شفتيها. رأى ذلك كلّه في لحظة واحدة وبكل وضوح، رغم أنه تعمّد أن تضيق عيناه وكأن النور قوي جداً. وفهم افتتان أوين بتلك الشابة، فهي ليست جميلة وحسب، إنما تملك نظرة بريئة آسرة، ما يتناقض تماماً مع شخصيتها. لم يحاول حتى أن يشيح بنظره عنها، ولم يستطع أن يخفف من العدائية التي تنبعث منه. وفجأة شعر وكأن كل صوت قد تبدد في هذا الجو المشحون الذي ساد بينهما. لم يكن في تعبيرها أي تحدّ، بل بدت بالأحرى ضعيفة لدرجة أن نظرته قد تؤذيها.

ثم أشاحت بنظرها وكأن تأثيره عليها كان عظيماً، وراحت تحدق إلى الليل المرصّع بالنجوم، وإلى أضواء المدينة المنعكسة على مياه النهر.

للحظة، خشي أن يستدير ويلحق بنظراتها الخائفة، لكن لحسن الحظ أنه كان يتفقد قائمة الطعام، ولم يلحظ شيئاً. عندما عاد النادل، نهض لانغ بسرعة عازماً على عدم الإقرار بأن تبادل النظرات ذاك قد أثار أعصابه. بعض النساء يملكن سحراً خارقاً، وهي واحدة منهنّ. تبع لانغ النادل إلى مخرج خلفي، بالقرب من المطابخ. كان مستعداً لأن يصعد إلى السطح لو اضطره الأمر، على أن يلتقي أوين ورفيقته الجميلة.

نام لانغ بشكل سيء وقد أصبح واثقاً من أمرين؛ أولهما أن أوين لن يدع هذه الفتاة تفلت منه والثاني أنه، هو، لن يتمكن من القيام بشيء حيال ذلك.

كان لانغ قد خرج لتوّه من الحمام عندما تعالى جرس الهاتف، فالتقط

ثوب الحمام وارتداه بسرعة، قبل أن يجيب. حيّاه صوت أوين العميق:

ـ كيف الحال يا صديقي؟.

ـ أتحرّق شوقاً للعودة إلى المنزل.

ـ أنت طبعاً تحب ذلك المكان.

قال أوين ذلك وأطلق ضحكة خافتة. بدا من الواضح أنه في مزاج جيد:

ـ اسمع، أعلم أنني أطلب منك الكثير مؤخراً، ولكن هناك بعض الأمور أودّ أن تقوم بها عنّي اليوم. أريد أن أذهب إلى «الشاطىء الذهبي». ثمّة يخت أريد إلقاء نظرة عليه. قيل لي إنه بحالة جيدة من كافة النواحي.

سأله محاولاً تخفيف حدّة نبرته: «وما خطب يخت «الديلما»؟».

ـ لا شيء، لا شيء. بإمكاني أن أطرحه اليوم في السوق وسيتهافت الكثيرون لشرائه. فهو مصنوع على يد أبرع الحرفيين الإيطاليين ومزوّد بأحدث التجهيزات. كنت أودّ أن نترافق كالعادة ولكن الوقت يداهمنا.

ـ إذاً ما الذي تريدني أن أفعله؟

لم يكن أمام لانغ خيار آخر سوى السؤال فأوين في النهاية هو المساهم الأكبر في الشركة.

ـ أودّ أن تقابل رود برغس عنّي. أنت تتعامل معه أفضل منّي، وربما أمكنك أن تتصل بالعجوز «بريرلي»، فهو لا يزال يملك حصة في بعض ممتلكاتنا. سوف يُسرّ بلقائك. فكلاكما أرستقراطي، ولستما مثلي.

أجاب ساخراً: «ومنذ متى كان للأرستقراطية المزعومة أي علاقة بالنجاح المهني؟».

ضحك أوين قائلاً: «أعرف، أعرف. لكن العجوز بريرلي لطالما أحبّك. افعل ذلك من أجلي يا صاح. وأريدك أن تعلم أن أفضل شيء فعلته في حياتي هو اختيارك شريكاً لي، وأنا أحبك كابنٍ لي رغم أنك لست

كذلك لحسن الحظ. لدي مشاريع لك، وأعرف لِما يحترمك الجميع».

ـ مهلاً، ما كل هذا؟

أثار كلام أوين العديد من التساؤلات في نفس لانغ.

ـ الحياة قصيرة جداً لذا علينا أن نعبّر عمّا نشعر به حقاً.

قال أوين ذلك بعاطفة واضحة، ثم أردف قائلاً:

ـ اسمع يا صديقي. أحدهم يقرع الباب. سأذهب الآن، أراك الليلة عند العشاء. أريدك أن تلتقي أحدهم. حسناً، حسناً.

كانت الجملة الأخيرة على الأرجح موجهة للشخص الذي قرع الباب.

وقال أوين بسرعة: «إلى اللقاء لانغ».

ـ إلى اللقاء. ليكن الله معك.

لِمَ كان أوين يتحدث بهذا الشكل؟ بدا له هذا الكلام كئيباً وكأنه وداع. أيكون ذلك نتيجة توتره الحاد، أو ربما بسبب خوفه على صديقته؟ فرجل مثل أوين في متوسط العمر ومغرم إلى هذا الحد قد يتأذى كثيراً لو تأزّمت الأمور. كان لانغ واثقاً من أن أوين تعرّض لصدمة عاطفية في شبابه. ولعلّه الآن يخدع نفسه بظنه أنه وجد السعادة. ثم هناك ديلما وروبي. وإذا تطلّقا، ستأخذ ديلما الطفل ويصبح هذا الأخير من دون أب. عليه أن يدرك ذلك.

هل من الغريب أن يتصرف أوين بهذه الطريقة؟ فهو في النهاية رجل شغوف وإن بدا ظاهرياً متحكّماً جداً بنفسه. شعر لانغ بالأسف الشديد عليهم جميعاً. ما عدا الفتاة.

إنها تخدع نفسها حتماً لو ظنت أن من حقها أن توقع رجلاً كبيراً متزوجاً وثرياً في شباكها. لا يمكن لأحد أن يلومها إن وقعت في الحب ولكن عندما يسبب هذا الحب كل تلك المصائب، فمن الأفضل مقاومته.

قرر لانغ أن يتناول غداءه بسرعة قبل أن يقابل جورج بريرلي. وبما أن أوين يريد أن يقدّم للرجل المسنّ بعض المعلومات التي يحتفظ بها في غرفته، فكر لانغ أن يأخذ مفتاح غرفة أوين من مكتب الاستقبال حالما يصل إلى الفندق. كان القلق يستحوذ عليه، ولكن فلسفته المهنية أملت عليه المثابرة والتركيز.

سلّم موظف الاستقبال مفتاح الغرفة إلى لانغ من دون أي اعتراض، فالجميع يعلم أنه وأوين شريكان وصديقان مقرّبان. استقل المصعد إلى الطابق الأخير وفتح الباب على الجناح الفسيح الفارغ. بدا كل شيء فيه مريحاً، مميزاً ما يجعل رجل الأعمال يشعر أنه في منزله. اتجه لانغ إلى طاولة المكتب الموضوعة أمام جدار تتوسطه لوحة زيتية أصلية. لمح الملف على الطاولة، وكان يحتوي صوراً ملوّنة وتصاميم ورسومات هندسية لا تزال في مرحلة التخطيط.

كان لانغ يتصفّح الملف عندما سمع صوتاً صادراً من غرفة النوم المجاورة. تردد لحظة وهو يفكر. أيُعقل أن يكون هذا موظف خدمة الغرف؟ أبقى الملف في يده واتجه نحو الممشى وهو ينادي: «هل من أحد هنا؟».

ساوره الشك أنه بين اللحظة والأخرى سوف يجد نفسه وجهاً لوجه مع حب حياة أوين. تباً! هو ليس مستعداً لهذه المواجهة.

خرجت من الغرفة قبل أن تراه وقد ظهر عليها الانزعاج. بدا واضحاً أنها أمضت طيلة الصباح في السرير، وأنها ارتدت ملابسها للتو. لفتت انتباهه خصلات شعرها الحريري الأسود. كانت حافية القدمين وقد بدت عيناها زرقاوين بلون فستانها. وتماماً كما حصل في الليلة الفائتة، لم يستطع لانغ إلاّ أن يلاحظ ارتجافها. ولو لم تخنه مشاعره، لأقرّ بأن موجة من الغضب اجتاحته. لم تعجبه مشاعره تلك، لكنه لم يستطع شيئاً حيالها، فبالرغم من

احتقاره لتلك الفتاة، إلاّ أنه شعر برغبة في رؤيتها مجدداً. وهذا الواقع صعقه تماماً.

ـ أنت!

خرجت الكلمة من فمها أشبه بصرخة، وقد تذكرت أنها رأته في الليلة السابقة فبدت أكثر اضطراباً منه.

ـ أنا آسف، لم أكن أعلم أن ثمّة أحد هنا. أدعى لانغ فورسايت، وأنا شريك أوين.

ـ نعم.

بدت جامدة، أشبه بلوحة وهي تقول له: «لقد حدثني أوين كثيراً عنك».

ـ هذا مذهل!

قال ذلك بنبرة ساخرة فيما تابع يقول: «عليّ أن أرحل الآن».

كان عليه أن يخرج قبل أن يقول رأيه فيها بصراحة فقد يتسبب ذلك بقطع علاقته بأوين نهائياً.

ـ من فضلك...

توقف فجأة عندما نادته.

ـ كنت في المطعم الليلة الماضية.

ـ أردت أن أجلس على انفراد. لا داعي لأن تخبري أوين بذلك. لم أشأ إزعاجكما.

ـ نظرت إليّ وكأنك تكرهني.

نظراتها البرّاقة كادت تجرّده من دفاعاته.

ـ ولِمَ أكرهك؟ أنا لا أعرفك.

ـ ربما لديك أسبابك. لقد بدت ردّة فعلك قويّة.

أطلق ضحكة لاذعة: «ما الذي تفعلينه بحق الله في جناحه؟».

وانسحرت عيناه بلون بشرتها، إلا أنهما بدتا باردتين مثلجتين وهو يقول لها: «اعذريني إن لم أكن متمدناً مثلك لأقبل بذلك. فكل ما أستطيع التفكير فيه هو ما سيحدث من الآن فصاعداً».

ـ أنت لا تريدني في حياة أوين؟

هزّ رأسه: «قطعاً لا».

ـ ولكنني جزء من حياته، سيد فورسايت.

قالت ذلك من دون أي نبرة انتصار أو تحدٍّ: «أوين يحبني..».

قاطعها بسرعة: «هذا افتتان. أوين مسحور بجمالك».

ـ لقد سبق ورآه من قبل.

ـ ما الذي تتكلمين عنه؟ أي لعبة تلعبين؟

ـ لست ألعب. لو سمحت لي ببعض الوقت لبرّرت تصرفاتي...

قالت ذلك بلطف، لكنه استدار وهمّ بالرحيل وهو يقول: «آسف، ولكنك تحتاجين لكل وقت العالم لتفعلي ذلك».

ـ أنت تلعب بالنار، يا سيد فورسايت.

ـ أتظنين أنني لا أعرف هذا؟ لقد رميتِ نفسك في حياة أوين، ولكن أكثر ما يزعجني ليس علاقتي بأوين واحتمال انقطاعها، إنما أوين نفسه. أوين وعائلته.

ـ يا لهذه الدوافع النزيهة! يا لك من شهم!

ـ على العكس منك تماماً.

قال ذلك، مبدياً احتقاره. فاصطبغت وجنتاها بلون أحمر أبرز بياض بشرتها: «أظن أنّ من الأفضل أن ترحل الآن».

ـ هذا ما أنويه فعلاً. يبدو أن أوين يخطط لنلتقي جميعنا على العشاء، لكنني لا أظنها فكرة صائبة.

ـ سأجعل أوين يقنعك.

٢ ـ حب من نوع آخر

وقعت عينا إيدن لأول مرة على والدها يوم مأتم أمها. لم تكن تعرف حينها أنه هو والدها الحقيقي وليس ريمون سانكلير. أوين كان حب حياة أمها منذ عشرين سنة عندما كان كلاهما شاباً. وهو لا يزال وسيماً حتى اليوم، لكن ما لفت انتباهها لم يكن مظهره إنما نظرته. تماماً كنظرة لانغ فورسايت التي جذبت انتباهها في المطعم الليلة الماضية. لقد عرفت الآن من يكون، إنه صديق أوين الحميم وشريكه. وقد وصفه أوين بأنه شاب رائع ولامع، فهو رجل قوي، مهذب، طموح ومثقف. واستنتجت إيدن أن أي فتاة تتمنى الفوز به.

وضعت يديها على خديها اللذين أصبحا ملتهبين لشدّة الغضب. لقد ظنها لانغ عشيقة أوين. يا للسخرية! لا تزال نظرته الجليدية أمامها قاسية كالماس، وصوته المرتجف يرن في أذنيها. هدأت نفسها قليلاً، فقريباً سيعرف الحقيقة، وإن كانت لا تنوي أن تسامحه على احتقاره لها. لقد عانت بما يكفي من القلق مؤخراً. لقد أحبت أمها كثيراً ولم يكن من السهل عليها أن تتقبّل فكرة أن ريمون سانكلير ليس والدها الحقيقي، رغم أنهما ما كانا يوماً مقرّبين من بعضهما البعض. فريمون سانكلير لم يُظهر لها يوماً أي نوع من المشاعر الدافئة، حتى يوم مأتم والدتها.

والآن، بعد كل تلك السنوات، عرفت إيدن سبب شك أبيها الدائم بأمها. لا شك أنه كان يخشى أن تتركه وترحل. أدركت إيدن أن ريمون سانكلير عاش حياته مثقلاً بالشك الذي سمّم عَيشه، وفهمت سبب تحفظه

معها. فهو في عمق أعماقه يعلم أنها ليست ابنته ولكنها تشبه أمها كثيراً، تلك المرأة التي أحبّها من كل قلبه من دون أن تبادله الشعور، فلم يستطع أن ينبذ ابنتها. بالإضافة إلى ذلك، لطالما جاهد ريمون سانكلير ليرضي جدّها الذي ساعده كثيراً في حياته المهنية.

لقد حطّمت وفاة أمها قلب الجد، فتدهورت صحته بسرعة خلال الأشهر الستة الماضية. وبدا أنه لا يريد العيش بعد وفاة وحيدته أو أنه لا يستحق ذلك.

عرفت إيدن منذ طفولتها أن زواج والديها ليس بالقران السعيد ولطالما فكرت في أن والدتها أقدمت على هذه الخطوة نزولاً عند رغبة جدها ليس إلاّ.

غرقت إيدن في كرسيّها، محاولة التخلص من الصدمة العظيمة التي شكّلها دخول لانغ فورسايت في حياتها. لقد بدأ نهارها بشكل جيد، فقد بقيت في المدينة مع والدها بدلاً من العودة إلى منزل «العائلة» حيث لم تعد تشعر بالارتياح.

أرادت أن تمضي النهار في التسوق وتناول الغداء مع صديقة لها ريثما يعود أوين. لقد خطط والدها لكل شيء. فالليلة عند العشاء، سيعرّفها إلى صديقه وشريكه لانغ فورسايت الذي يعتبره فرداً من العائلة.

ولكن المشاريع الجميلة تتعرقل أحياناً! فقد فاجأها لانغ فورسايت قبل الموعد الذي حدّده أوين بساعات وحكم عليها بقسوة. في الواقع، رؤيته في المطعم الليلة الماضية ملأتها بالإثارة. فقد كان يحدّق إليها بثبات وقد بدا وسيماً وفي منتهى الأناقة بجسمه الممشوق وملابسه الجميلة. لكن ظهوره هذا الصباح في جناح أوين أثار اضطرابها بقدر ما أثاره لقاؤها بأبيها للمرة الأولى. شعرت إيدن أنه سيبقى دوماً عدائياً تجاهها، حتى بعد أن يعرف هويتها الحقيقية. فهل قدرها أن تبقى دائماً دخيلة؟

وغاصت إيدن مجدداً في أفكارها. لقد اجتازت مع أوين مسافة طويلة منذ لقائهما الأول. بعد موت أمها المفاجيء إثر حادث سير، غادرت إيدن وريمون سانكلير شركة الجد حيث كان هو شريكاً وهي مساهمة. اقترب منها أوين ذات صباح فيما كانت تتجه إلى منزل جدها فأجفلت عند رؤيته، ظنًا منها أنه أحد الصحفيين. لكن لطفه سرعان ما بدد مخاوفها وشكوكها. قال لها إنه يود التحدث إليها عن والدتها، فقد عرف كاساندرا منذ حداثته. وسألها إن كان بإمكانهما أن يقصدا مكاناً هادئاً ليتكلما فيه.

والغريب في الأمر أنها رافقته من دون أي تردد، فقد طمأنتها لطافته وحمايته. تناولا القهوة، وراح أوين يستعيد ذكريات الماضي فيما هما يتفرّجان على الأولاد الذين يلعبون أمام ناظريهما في الحديقة العامة.

ـ قصة حياتي ومأساتي فريدة من نوعها، إيدن. إنها قصة قديمة قِدَم الزمن. قصة صبي فقير وقع في حب ابنة رجل ثري. أنت تعرفين جدك. كان، ولا يزال على ما أعتقد، يشدد على المقامات الرفيعة. والشبان الفقراء لا مكان لهم في مخططاته. ولكن رغم ذلك، كنا أنا وكاساندرا حبيبين وقررنا أن نتزوج في السر. لكن لم يمض أيام على زواجنا حتى علم جدك بالأمر، فأرغم ابنته على ملازمة المنزل وراح يضغط علينا ليفرقنا. كان ضغط جدك عليها أمراً لا يُحتمل، لقد ترعرعت كأميرة وأنا لم يكن لديّ ما أقدّمه لها سوى حبي.

سألت إيدن والدموع تترقرق في عينيها: «أوَلم يكن ذلك كافياً؟».

ـ أمك أحبتني إيدن، أريدك أن تعلمي ذلك، لكن جدك ربح في النهاية. فأرغمنا على الانفصال بعد أن هددنا.

ـ كم هذا حزين، كانت أمي دوماً حزينة.

ـ وأنا أيضاً بقيت حزيناً طيلة تلك السنوات، لا سيما عندما علمت أن

جميلتي كاساندرا كانت تحمل طفلاً منّي عندما تزوجت بذلك الغبي.

صُعقت إيدن لهذا الكلام: «يا إلهي! ماذا قلت؟».

خرج السؤال من فمها أشبه بالصراعة، ثم بقيت طويلاً عاجزة عن الكلام إلى أن وضع أوين ذراعه حول كتفيها: «يا حبيبتي الغالية، ذلك الطفل هو أنت. ولو علمت أن أمك كانت حاملاً منّي حينذاك، لما سمحت لكل ذلك أن يحصل».

هزت إيدن رأسها مصعوقة، مشدوهة: «أتعني أنها لم تخبرك بالموضوع؟».

ـ لم أعلم بالأمر إلا بعد مرور ثلاث سنوات على زواجها. لديّ رسالة منها سأريك إيّاها. سوف تتعرفين على خط يدها، وتتأكدين ممّا أقوله. لقد تسلّمت أمي الرسالة. لم تستطع كاساندرا إيجادي، فبعد أن تَزَوَّجت، جُنّ جنوني فحزمت أمتعتي وغادرت المنزل. ولطالما كانت أمي تنظر إلى كاساندرا بشيء من الذعر كأنها تشك بالأمر.

ـ مع ذلك، أعطتك الرسالة؟

أجاب أوين بصوت رقيق: «كانت امرأة حكيمة جداً. لم أخبرها يوماً عنك، لأنها لم تكن لتوافق على ترك الأمور على حالها. لقد رجتني أمك في الرسالة أن أبقي الأمر سرًا. ورغم أن ذلك سبّب لي ألماً كثيراً، فقد نفذت رغبتها. أقنعتني بأنك سعيدة وآمنة. ولكي تسترضيني قالت إنها أسمتك على اسم والدتي، جدتك إيدن كارتر».

بقيت إيدن صامتة، وهي تحاول استيعاب الصدمة، ثم تمكنت أخيراً من أن تقول: «هذا لا يُصدَّق. لا أستطيع استيعاب الأمر».

ـ أفهمك وأفهم ألمك وصدمتك. خذي، اقرأي الرسالة.

امتلأت عيناها بالدموع وهي تقرأ الرسالة، حتى إنها أعادت الأوراق إلى أوين ليقرأها لها بصوت عالٍ. كيف تمكنت أمها من إيذائه إلى هذا الحد؟ ألم يكن لديها الشجاعة؟ ما الذي أقنعها بالبقاء مع ريمون سانكلير؟ لم يكن زواجهما سعيداً، لكنهما تمكنا من الحفاظ على المظاهر التي تتناسب مع طبقتهما الاجتماعية. هي نفسها افتقدت إلى عاطفة الأب. أما الآن فهي تشعر بهذه العاطفة تنضح من هذا الرجل الذي عرفت الآن أنه والدها الحقيقي. لقد جاهد ريمون سانكلير ليجد لها مكاناً في قلبه لكنه لم يستطع ذلك. حبه الوحيد، أو بالأحرى هوسه، كان لأمها.

يا لها من قصة فظيعة، دفع الجميع ثمنها! حتى جدها الذي أرغم ابنته على الزواج من رجل ينتمي إلى طبقتهم الاجتماعية، بات الآن يشعر بالذنب لأنه حكم عليها بالتعاسة طيلة حياتها.

ـ يقال إن موت أمي لم يكن مجرد حادث.

ونظرت إيدن مباشرة في عينيّ أبيها الداكنتين، فقال لها بسرعة:

ـ ما كانت كاساندرا لتركك أبداً.

ـ أنت لم ترها خلال كل تلك السنوات. أظن أنها تغيرت كثيراً عن الفتاة التي عَرفتها في صباك. كانت تبدو دائماً حزينة ولكن رقيقة وجميلة بحيث سلبت قلوب الجميع، ومن بينهم الرجل الذي ناديته أبي طيلة حياتي.

قَسَت ملامح أوين فجأة وبدت صلبة كالصخر: «أنا آسف إيدن ولكنني لا أريد أن أسمع شيئاً عن هذا الرجل، فقد فضّله جدك عليّ، وأجبر كاساندرا على الزواج به. كان وسيماً للغاية ومحامياً واعداً. أمّا أنا فلم أكمل علومي. اضطررت لترك المدرسة قبل سن السادسة عشرة لأتعلّم حرفة ما، لأننا كنا بحاجة إلى المال. أمّا اليوم، فالوضع مختلف. أنا رجل ثري جداً».

سألته إيدن وهي تفكر بما أثارته هذه القصة من مشاعر في داخلها: «هل تزوجت بعد ذلك؟».

أومأ أوين مجيباً: «لديّ زوجة وابن يدعى روبي. زوجتي ديلما الإيطالية الأصل تدعوه روبيرتو».

ـ إذاً أنت سعيد.

ـ يجدر بي أن أكون كذلك، لو لم تسكنا، أنت وكاساندرا، فكري بشكل دائم. غالباً عندما أكون وحيداً في مركبي، أنادي اسمك: إيدن! ابنتي الصغيرة. يبدو ذلك بائساً، أليس كذلك؟ ولكن اليوم بنعمة الله وجدتك. مأساة كاساندرا حررتنا.

راحا بعد ذلك يلتقيان بانتظام. كان أوين يجتاز مسافة بعيدة من شمال كوينز لاند ليلتقي ابنته، فروابط الدم التي جمعتهما غدت قوية جداً. كانا يتكلمان بسهولة وحرية، وقد أدركت إيدن أنها ورثت عن أبيها بعضاً من طباعه وحركاته، رغم أنها كبرت بعيدة عنه. أراد أوين أن تأتي ابنته للعيش مع عائلته، لكن ابتهاجه بالعثور عليها جعله ينسى أن ذلك قد يتسبب بالأذى لزوجته وأم ابنه روبي. ألم يسبب الكثير من الأذى حتى الآن بإخفائه الحقيقة عن صديقه وشريكه لانغ فورسايت؟ لكن أوين يعتقد أن الوقت لا يزال مبكراً للحديث عن الأمر، وإيدن أيضاً لا يمكنها ذلك. كلاهما يحتاج إلى المزيد من الوقت.

وفي الوقت الذي تطورت فيه علاقتها بأوين، تدهورت علاقتها بالرجل الذي نادته «والدها» طيلة حياتها، حتى إن إيدن شعرت بأن الوقت قد حان لكي ترحل. ولكنها لن تتسرع بالرحيل فالناس لم يكفوا بعد عن الثرثرة بشأن وفاة أمها المبكرة، وهي لا تنوي أن تسبب لريمون المزيد من الألم والإحراج. أما الآن، وبعد ستة أشهر على رحيل أمها، فلن يُعتبر ذهابها هجراناً.

لم تخبر إيدن جدها، فقد أصبح من الضعف بحيث لم تشأ إغضابه بأي شكل. لا شك أنه يعلم الحقيقة، فجدها رجل ذكي وحذق جداً. وقد باتت الآن مقتنعة بأن الندم يتآكله لما فعله بحياة ابنته القصيرة.

نهضت إيدن عن كرسيها وعادت إلى الغرفة حيث أكملت تجهيز نفسها للخروج. كانت متشوقة لتناول الغداء مع صديقتها كارلي التي رافقتها منذ الطفولة حتى مرحلة الجامعة. وقد حازت كارلي مثل إيدن على إجازة في الحقوق والتحقت بشركة متخصصة في الحقل القانوني. كانت إيدن قد أخذت إجازة طويلة من شركة جدها، ليس فقط لترى أوين أطول مدة ممكنة، إنما أيضاً لتجنّب ريمون سانكلير الذكريات المريرة التي قد يثيرها فيه وجودها.

تناولت إيدن طعام الغداء برفقة صديقتها، ثم أمضت بعض الوقت في التسوق قبل أن تعود إلى الفندق في نهاية فترة بعد الظهر. لا بد أن أوين اشترى اليخت، وسوف يعود في أي لحظة. وهذا المساء، سوف يتناولان العشاء مع لانغ فورسايت، وسيكشف أوين هويتها الحقيقية، ما سيصحّح الفكرة الخاطئة التي أخذها لانغ فورسايت عنها.

بدا لها أن لانغ فورسايت رجل متغطرس ينتمي إلى عالم ثري، ولكنه يعرف أيضاً معنى أن يكافح المرء ليعيش. بدا مظهره خلاباً، فطوله يزيد على الستة أقدام وهو قوي البنية، عريض المنكبين، وسيم الوجه، ذو أنف متعالٍ وفم رائع. أما تعابيره فتدل على الرجولة والقوّة، وعيناه الرماديتان تنضحان إثارة. وقد بدا شعره الأسود الداكن في تناقض رائع مع بشرته الذهبية اللون.

شعرت إيدن أن لانغ فورسايت لن يكون يوماً صديقها. ولكنه صديق أوين الحميم وشريكه. عليها ألاّ تنسى ذلك. أجفلها رنين الهاتف، فأمسكت السماعة هامسة: «الجناح الذهبي».

ـ آنسة سانكلير؟

أخذت نفساً حاداً وقد أدركت هوية المتّصل: «نعم، سيد فورسايت».

ـ أنا في الردهة الأساسية. سأصعد.

بدا صوته خافتاً خامداً، وشعرت فجأة بالبرودة تسري في جسمها والاضطراب يتغلغل في ذهنها. ما الذي يريده؟ الوقت ليس مناسباً للمواجهات الآن.

اتجهت إلى الباب عندما سمعت قرعه، وفتحته ثم تراجعت إلى الخلف. بدا وجهه الوسيم خالياً من أيّ تعبير رغم أنها استشفّت بعض الشحوب فيه.

ـ اجلسي.

تكلّم بلطف أكثر من العادة، ما أثار قلقها.

ـ ما الأمر؟

لقد اعتادت مؤخراً على الحزن والتعاسة بحيث تمكنت على الفور من تلمسهما فيه.

ـ هل أوين بخير؟

عقد حاجبيه الداكنين: «لا أعرف كيف أخبرك، ولكن... تعرّض أوين لحادث على الطريق السريع. يبدو أن سائق إحدى السيارات أصيب بنوبة قلبية فاصطدم بالسيارة التي كان أوين يستقلها».

وهنت ساقاها وخفق جفناها: «يا إلهي!».

وبعد ذلك... أدركت أنها ممددة على مقعد طويل فيما لانغ يفرك معصميها: «هل أنت بخير؟».

ـ كنت أعرف أن مكروهاً قد حصل.

أبقت رأسها منخفضاً فيما هي تتكلم، فلم تلاحظ القلق الذي ظهر على

وجه لانغ أو الارتباك الذي يسببه له وجودها، فعليه أيضاً أن يُعلم ديلما بالموضوع.

بعد وقوع الاصطدام، بقي أوين واعياً لفترة، فزوّد الشرطة باسمه وباسم الشخص الذي يودّ إعلامه بالحادثة. وكالعادة، وقع الاختيار على لانغ ليعلن الخبر لزوجة أوين و«عشيقته». لم يُعلِم ديلما بعد، فهو لا يزال مع هذه الفتاة وهو يحاول الاهتمام بها.

ورفعت رأسها لتسأله، وقد استقرت عيناها البنفسجيتان عليه: «أين هو الآن؟».

ذكر لها اسم المستشفى فسمع تنهيدتها.

ـ أنا آسف. كان عليّ أن أخبرك بأن الحادثة لم تكن قاضية.

ـ آه.. ليست كحادثة أمي إذاً؟

تكلمت بهدوء بالغ فحاول ألاّ يُظهر أي ردّ فعل: «عفواً؟».

ـ قضت أمي في حادث سيارة منذ ستة أشهر تقريباً.

ـ أنا آسف حقاً. لا بد أن ذلك سبب لك الكثير من الأسى. حسناً، سوف أذهب إلى المستشفى.

فقالت وقد نهضت عن الكرسي، محاولة أن تهدىء نفسها:

ـ سأرافقك.

ولم يستطع لانغ أن يلجم عبوسه: «لا أظنّها فكرة جيدة».

ـ لا يهمني ما تظنه. وإذا لم تأخذني، سأستقلّ سيارة أجرة. أريد أن أطمئن على حال أوين. أنا أحبه، ولا أودّ أن أخسره الآن.

تكلمت بصدق وعاطفة جعلاه يصدّقها ولكنه قال يعنّفها: «عليك أن تتذكري بأن لديه زوجة وطفلاً».

نظرت إليه وكأن ذلك لا يعنيها إطلاقاً: «وما دخلي بهذا؟».

لم يشعر لانغ بالغضب إزاء هذا الرد، إنما بالخيبة: «لا تبدين قاسية».

في الواقع بدت أكثر المخلوقات رقة وإحساساً وكانت عيناها تلمعان بالدموع: «كان أوين ينوي أن يخبرك كل شيء عني الليلة بالذات».

قالت له ذلك وكأنها تشفق عليه، ما أجّج عدائيته تجاهها: «بصراحة آنسة سانكلير، أنا خائف. عليك أن تدركي أن الفترة القادمة ستكون عصيبة. عليّ أن أتصل بديلما زوجة أوين».

ـ أعرف.

ثمة سرّ وراء علاقتها بأوين، لم يستطع فهمه.

ـ لِمَ لم تفعل ذلك قبلاً؟ لِمَ لم تتصل بها قبل أن تخبرني؟

ـ لست مضطراً لشرح أسبابي.

أجابها بقوة لم يتعمد إظهارها وأضاف: «كلانا يعرف أنني قلق عليك. يجب أن تخرجي من هذا الجناح، وسوف أتولى أمر كل شيء».

ـ طبعاً.

وأخفضت رأسها: «أنا ممتنة جداً لوجودك هنا، ولهذا المزيج من الإدانة والقلق الذي تُظهره لي. هل ستقلّني إلى المستشفى؟».

إصرارها جعله يعيد التفكير: «إذا وعدتني بأن تلزمي الصمت. أنا واثق من أن حادثة أوين سوف تُغَطّى إعلامياً، فأوين رجل معروف، لا سيما في الشمال».

ـ مِمَّ أنت خائف؟ أتظنني أسعى وراء أموال أوين؟

ـ سامحيني إن ظننتُ بأن المال عامل مهم.

هزت رأسها الأسود الشعر، قائلة: «مخطىء جداً. لقد تركت لي أمي ما يكفي من المال وكذلك جدي. أنت لا تعرف شيئاً عني، يا سيد فورسايت».

www.elromancia.com

ـ كل ما أعرفه هو أنك سحرت صديقي أوين. على أي حال ما نفع الكلام الآن؟ إذا كنت تريدين الذهاب معي فمن الأفضل أن تحضري حاجياتك معك منذ الآن. أفترض بأن لديك منزلاً ما دام المال لا ينقصك كما تقولين.

احمرّت وجنتاها وترقرقت الدموع في عينيها الجميلتين: «أنت تفترض الكثير يا سيد فورسايت. إذا منحتني دقيقة، سوف أحزم أغراضي. كان من المفترض أن نتناول العشاء معك الليلة ولكن القدر تدخّل مجدداً».

* * *

ـ هل أنت مستعدة لهذا؟

سألها ذلك بينما كانا متجهين إلى غرفة أوين، فأجابته بصوت مفعم بالأمل: «أعلم أنه حيّ. أنا واثقة من ذلك، فهو لن يتركني الآن».

ـ يبدو أنه سيُغمى عليك.

بالفعل، بدت بشرتها بيضاء كالثلج لشدّة شحوبها. أما لانغ فغدا مهتماً بها وقلقاً عليها أكثر مما أراد أن يبدو عليه.

ـ لم يُغمَ عليّ حتى الآن أليس كذلك؟

ـ بل أغمي عليك لحظة في الفندق، أم أنك نسيت؟ على أي حال نحن هنا الآن. دعيني أستلم دفّة الحديث.

ـ طبعاً.

قالت ذلك من دون أن تبعد بصرها عنه، لكنها لم تكن تنظر مباشرة في عينيه. شعر لانغ أن ذلك يعني الكثير، لكنه لم يشأ التفكير بالأمر الآن فهذه الشابة حبيبة أوين.

كان الطبيب بانتظارهما. صافحهما بسرعة وقال لهما وهو ينقل نظره بينهما وكأنهما ثنائي: «السيد كارتر سيخضع لجراحة فورية. إنه يتزف ولديه

أضلاع مكسورة، ولكن حالته جيدة بالنسبة إلى سنّه. لقد استعاد وعيه لكنه لا يزال تحت تأثير التخدير. يمكنكما أن تكلّماه قليلاً إن شئتما».

ما إن ابتعد الطبيب، حتى لمحا أوين على الحمّالة في الممشى.

واتجها معاً نحو أوين الذي استقرت عيناه أولاً على لانغ: «لانغ!».

ورفع يده فأمسك بها لانغ، شاعراً ببرودتها: «نحن هنا من أجلك، أوين».

قال لانغ ذلك، تاركاً عواطفه تظهر على سجيّتها: «إيدن هنا أيضاً».

استعمل اسمها ببساطة وأدرك أنه يروقه. كما أنه يليق بها، كما فكّر لاحقاً.

ـ إيدن؟

حاول أوين أن يستدير وقد شعر بالإثارة لوجودها، فأشارت إليها الممرضة بأن تقترب. عندئذٍ تقدّمت إيدن وأمسكت بيده، ثم انحنت فوقه وقد بدا وجهها الرقيق بريئاً جميلاً. النظرة التي لمعت في عيني أوين والتعبير الذي أشرق في وجهه جعلا لانغ يشيح بنظره عنهما. إنه حب! حب حقيقي من النوع الذي يدوم أبداً. وهو يعلم الآن أن لا زوجة ولا طفلاً ولا شريكاً سيتمكن من تفريقهما.

وفجأة، تدخلت الممرضة قائلة بحزم: «شكراً، لكن السيد كارتر سيخضع الآن للجراحة. هل ستنتظران؟».

ـ نعم. نريد أن نبقى هنا.

تكلّم لانغ عن كليهما، فأومأت الممرضة.

لكن أوين حاول أن يستبقيهما: «لانغ!».

www.elromancia.com

قال ذلك بصوت ضعيف مرتجف، فتدخلت الممرضة مجدداً، قائلة بحزم: «اذهبا الآن، أنتما تزعجان المريض».

ـ أظنه يريد أن يقول لي شيئاً.

حاول لانغ أن يقترب من أوين، ولكن الممرضة منعته.

ترك لانغ إيدن في غرفة الانتظار بعد أن قدّم لها فنجاناً من القهوة ثم اتجه إلى الممشى الواسع في المستشفى حيث اتصل بمنزل أوين.

لم تتقبل ديلما الخبر بهدوء، فقد تعالى صراخها الحاد وكأن أوين لن ينجو. حاول لانغ جهده لكي يطمئنها، ولكن عبثاً، فقال لها في النهاية إنه سيعاود الاتصال بها، إذا ما استجدّ أي طارىء.

استقرت عينا الفتاة على عينيه وهو يجلس بجانبها. كانا بمفردهما في الغرفة، فقال لانغ: «ديلما لم تتقبل الخبر. إنها مضطربة جداً».

قالت الفتاة وكأنها تفسّر الأمر: «إنها تحبّه».

ـ لم أستطع إقناعها بأنها ستراه مجدداً.

ـ لا بد أنها تشعر بالاضطراب لأنها بعيدة عنه.

ـ هل كنت ستخاطرين بمجيئك إلى هنا، لو كانت ديلما في المدينة؟

نظرت إليه بكل ثقة: «طبعاً. لكن أوين كان ليشرح الوضع».

فأجابها وهو يهزّ رأسه: «هذا كلام صبياني».

ثم تابع يقول: «أتظنين بأن ديلما، زوجته، سترحل بكل بساطة؟ آنسة سانكلير، أنت لا تعرفينها. وأنا لا أودّ مطلقاً أن أراها مخدوعة، لأنها عندئذٍ ستتحول إلى لبوة شرسة وهذه ليست مبالغة على الإطلاق، لا سيما إذا كانت تدافع عن ابنها، وريث أوين».

ـ أخبرني عنه.

قالت ذلك بصوت رقيق وودّت لو تضيف: روبي، روبيرتو أخي الصغير! ولكنها قطعت وعداً لأوين بأن تدع أمر كشف السر له.

ـ إنني عرّابه وعرّاب ابن اختي جورجيا. كلاهما في السن نفسه. لِمَ تريدين أن تعرفي؟

سأل هذا فيما راحت عيناه تتفحصان وجهها وكأنه رسّام يدرس موضوع لوحته. وقد وجد بالإضافة إلى كل تلك القسمات الرائعة، ميزة تمنحها قوة استثنائية. أهو الإحساس؟ أو الغموض؟ أو النقاء؟ ربما الثلاثة معاً.

ـ أريد أن أعرف كل شيء عن أوين. لقد أخبرني الكثير، ولكن نظرتك مختلفة. لا سيّما بشأني أنا.

ـ وهل تلوميني؟ أوين متزوج، ومع ذلك هو مهووس بك.

ـ الهوس ليس بالأمر غير المألوف.

ـ خاصة مع نساء أمثالك.

تشنج الجو حولهما فجأة، فقالت إيدن: «لم لا تخبرني ما هو رأيك بي بالضبط؟».

تحدته بسؤالها ولم تحاول حتى أن تتجنب نظرته القاتلة.

ـ لا أرغب في زيادة تعاستك. أتدركين بأن ديلما، على الأرجح، استقلت الآن طائرة إلى بريزبان؟

ـ لا يفاجئني ذلك.

ـ إذاً عليك أن تتوقعي حصول تعقيدات. لا أظن أن قصتك ستمرّ مرور الكرام.

ماذا عساها تجيبه الآن؟

ـ أوين يريدني هنا.

www.elromancia.com

قالت ذلك بوقار، فهي واثقة أن أوين كان على وشك كشف «سرّهما» لو لم تتدخل الممرضة.

ظهر الجرّاح بزيّه الأخضر قبل أن يتوقّعا حضوره بكثير. بدا تعبيره كالحاً كمعظم الأطباء الذين يتعاملون يومياً مع مسائل الحياة والموت.

ـ يا إلهي!

أطلقت إيدن آهة قلقة وقد تصلّبت كل عضلة في جسمها. ودّت لو تصدق بأن كل شيء على ما يرام، لكنها كانت لا تزال تحت تأثير الصدمة التي عانتها بسبب وفاة أمها. وهي لن تنسى أبداً اللحظة التي دخل فيها ريمون سانكلير مكتبها ليبلغها بتلك الفاجعة، قائلاً إن الشرطة عثرت على حطام سيارة أمها، وإن كاساندرا قضت في الحادثة. راحت تلهث خائفة:

ـ الوقت مبكر جداً، أليس كذلك؟.

سألت ذلك مستغيثة بالرجل القاسي، القوي، الآمر الذي يجلس إلى جانبها: لانغ فورسايت. ولكن، هو أيضاً بدا مستعداً لسماع خبر سيء، فتابعت تقول: «كم مرّ من الوقت؟».

ـ ساعة وعشر دقائق.

وانعقد حاجباه اندهاشاً. كان كلاهما واثقاً من أن هذه المدة القصيرة قد تعني الأسوأ.

ـ يجب أن يعيش... لا يمكنه أن يموت.

لم تدرك إيدن أنها كانت تتمتم بصوت مرتفع. عثورها على والدها أعطى معنى جديداً لحياتها ولا يمكنها أن تخسره الآن.

أحسّ لانغ بتعاستها وحزنها العميق، وإذا به يضع ذراعه حولها، يحيط بها جسمها النحيل. وأحسّ بموجة شديدة من المشاعر تجتاحه، الأمر الذي لم يحبذه على الإطلاق. كان ذلك خطراً بل مشيناً. أما هي، فقد مالت إليه

وكأنها تثق به ثقة تامة أو كأنهما صديقان. لا بد أنها تحتاج الآن إلى الدعم والمؤاساة بحيث يمكن أن تقبلهما من أي كان، حتى منه.

عندما وصل الطبيب إليهما، منحهما ابتسامة سريعة مشرقة قائلاً:

ـ يسرّني أن أخبركما بأن كل شيء على ما يرام. السيد كارتر يتمتع بصحة جيدة وقلب قويّ. لقد عالجنا جروحه الداخلية وأوقفنا النزيف. لقد تم نقله الآن إلى غرفة النقاهة. عندما يستعيد وعيه يمكنكما رؤيته.

شعر كلاهما بارتياح عظيم، حتى إن إيدن شعرت بالدم يجري مجدداً في عروقها: «لديّ الكثير من الوقت الآن لأعوّض عما مضى، وأوين أيضاً. أمامنا الحياة بأكملها».

قالت ذلك بامتنان كليّ فنظر إليها لانغ غير مصدق، وهو يحاول جهده ليحافظ على نبرة صوته: «أتساءل إن كان هذا ما ستقولينه بعد سنة من الآن. لا أظنني سأكون سعيداً لو دستُ على كل هؤلاء الأشخاص. أعلم أن هذا ما يحصل دائماً، ولكنهم أصدقائي».

جاءت نبرته هادئة إنما معنّفة، وشعرت إيدن بأنها ستنفجر إذا لم تتكلم قريباً. الحمد لله أن أوين سيتمكن عما قريب من توضيح الأمور ووضع النقاط على الحروف. أرادت أن تمحو شكوك لانغ فورسايت وأن تتحرر من تلك النظرة الرهيبة. أرادت أن تكشف الحقيقة لتقول: أنا ابنة أوين. أنا الابنة التي لم تقع عيناه عليها إلاّ منذ ستة أشهر خلت. ولكنها تعرف أن الأمر يعود لأوين كي يكشف القصة كاملة لصديقه، بدلاً منها هي.

مرة أخرى، ابتعد لانغ فورسايت ليتصل بزوجة أوين. فكرت إيدن مراراً خلال الأشهر الماضية أن على أوين أن يخبر زوجته بوجودها. فإذا كان زواجهما متيناً، سوف تقبلها ديلما كفرد من العائلة، وإن لم يكن كذلك،

www.elromancia.com

فهي لن ترضى بوجود ما يذكرها بحب زوجها القديم. في خضمّ حماسه لإيجاد ابنته، لم يفكر أوين على ما يبدو بالعواقب التي قد تؤثر على زواجه. وماذا عن الصغير روبي، وريث أبيه؟ قد لا يرغب بأن تكون له شقيقة راشدة. شقيقة لم يجد والده أي صعوبة في إظهار حبه لها. كانت إيدن تعرف أن الكثير من المشاكل تلوح في الأفق، معظمها نتيجة أخطاء بشرية.

أخيراً سُمح لهما بدخول غرفة الطوارئ. كان أوين قد استعاد وعيه رغم الرضوض الكثيرة في وجهه، وكان أفضل حالاً مما اعتقدا ولكنه لا يزال متعباً.

سأل لانغ مُظهراً ارتياحه وعاطفته: «كيف الحال؟».

ـ بخير يا صديقي.

حاول جاهداً أن يبدو طبيعياً ولكن هذا العمل البطولي كان أقوى منه.

ـ شكراً على كل شيء لانغ. أدين لك بالكثير. أين فتاتي الجميلة؟

ـ هنا أوين.

دنت منه إيدن فأشرقت تعابير وجهه وبدا منخطفاً عن العالم، وبدت إيدن متشوقة لمعانقته وكأن عينيها الدامعتين لا تريان سوى أوين.

ـ لا تبكي حبيبتي.

قال أوين ذلك متوسلاً بصوت حنون للغاية. ووجد لانغ نفسه مجدداً مضطراً للإشاحة بنظره فقد بدا الأمر مثيراً للاضطراب.

يبدو أن حبهما من النوع الذي يدوم حتى بعد الممات. فليساعد الله ديلما وليكن في عونها عندما تكتشف الأمر.

ما هي إلاّ لحظات حتى تمّ إخراجهما من الغرفة، فأوين لم يكن في حال تسمح له بأكثر من بضع كلمات، رغم أنه جاهد ليرفع ذراعه ويلوّح لهما بيده وهما يخرجان.

استدار لانغ في الممشى لينظر إليها. كانت الدموع تنهمر بهدوء على خدّيها ومع ذلك بدت مشرقة. كانت رؤيتها تذهله وتثير في نفسه الاضطراب في الوقت نفسه.

كان قد ركن سيارته المستأجرة على مقربة من مدخل المستشفى الرئيسي، فقال لها وهما يتجهان نحو الموقف: «أغراضك في السيارة، يمكنني أن أقلّك إلى المنزل».

قالت بابتسامة عذبة لمست منه القلب الذي قسّاه بسببها: «يمكنني أن أستقلّ سيارة أجرة».

ـ لا تزعجي نفسك. قولي لي فقط أين تعيشين؟

ـ حقاً، لست مضطراً لهذا.

قاطعها بسرعة: «لقد تعرّضتِ لصدمة. وأوين صديقي، ولا بدّ أنه يريدني أن أهتم بك».

ـ لكنك لست مضطراً لذلك.

في الواقع كان يريد ذلك لكنه أنكر الأمر حتى على نفسه: «لا لست مضطراً».

وأمسك ذراعها بسرعة ليجتازا الطريق: «حسناً، ليس تماماً، فأنت ما زلت صغيرة جداً».

ـ لا يبدو عليك أنك أكبر مني بكثير.

استأنفت إيدن الحديث عندما أصبحا في السيارة، وقد عاد ذلك الجو الحميم يسود بينهما.

ابتسم قائلاً: «أكبر بألف سنة، أنا واثق. أنا في الثانية والثلاثين وأنت؟».

www.elromancia.com

ـ في الرابعة والعشرين. لا أصدق أن أمي رحلت وتركتني قبل عيد ميلادي.

ـ قلت إنه حادث سيارة، أليس كذلك؟

لم تجب عن سؤاله، إنما اكتفت بهز رأسها. خشيت أن تختنق بدموعها إذا ما تكلمت عن الأمر، فحزنها العميق على وفاة أمها لم يخمد بعد، وكذلك تساؤلاتها وحيرتها حول ظروف تلك الوفاة. هل كان موتها حقاً انتحاراً؟ وهل هي الملامة بشكل أو بآخر؟ فكرت في أنها عاشت طيلة حياتها إلى جانب أمها، ومع ذلك لم تسرّ إليها يوماً بظروف ولادتها، الأمر الذي آلمها كثيراً. أويعقل أن أمها لم تتحلَّ يوماً بالشجاعة لتخبرها؟

ـ لا بد أنك تعرف المدينة جيداً.

قالت ذلك بعد أن لاحظت أنه لم يسألها أي طريق يؤدي إلى حيّها.

ـ نعم.

ـ لا بد أن زوجة أوين قد اطمأنت الآن. هل هي آتية؟

ـ طبعاً.

لم يكن يرغب في الكلام وبدت نظراته شاردة.

ـ كان يوماً شاقاً.

ـ نعم.

ـ هل ستستمر بالإجابة بكلمة أو اثنتين فقط؟

أجابها بسأم: «إيدن، ما الذي تريدينني أن أقوله؟».

ـ ألا يمكنك أن تقول: أتقبّل وجودك؟

كانت ضحكته القصيرة ساخرة: «لا أتقبّل وجودك إلاّ بصفة ابنة أوين».

تسارعت نبضات قلبها: «وما الذي يؤكد لك أنني لست ابنته؟».

رمقها بنظرة قاتلة أخرى: «أنا أعرف أوين جيداً. يستحيل أن يكون قد هجر ابنته ووالدة ابنته. أنا أعرفه. ولا يمكنه أن يحفظ سرًّا كهذا ويخفيه عنّي أو عن ديلما».

ـ ألا تظنها ستتقبّل بأن يكون لأوين طفل من امرأة أخرى؟

سألت ذلك بلهجة لاذعة جعلته يرغب في إيقاف السيارة ليواجهها: «لا تقولي لي إنك حامل!».

يا إلهي! لن يستطيع أن يتعايش مع هذه الفكرة.

ـ كيف تقول هذا؟

هي لم تفعل شيئاً مشيناً في حياتها. أوين والدها، بحق الله. لكم تود أن تواجهه بالحقيقة. أمها وأبوها كانا ماهرين في حفظ الأسرار، ولكنها لن تسمح بتكرار ذلك الآن.

غداً عندما تتحسن حال أوين، سوف تلحّ عليه ليشرح طبيعة علاقتهما والقصة الحزينة الكامنة وراءها. لقد سئمت هذه التمثيلية والطريقة التي يعاملها بها لانغ فورسايت.

ـ لا أفهمك على الإطلاق. يبدو أننا نتكلم لغتين مختلفتين. الوضع سيء، ألا تدركين ذلك؟ أنا أحذّرك، سيكون من الصعب عليك إبعاد ديلما. إنها امرأة ناضجة وقوية وسوف تقاتل بضراوة حفاظاً على زوجها.

لكنه أدرك أن هذه الفتاة لم تكن تفكر سوى في أوين، ضاربة عرض الحائط بكل شيء آخر، إلاّ أنه لم يقل لها ذلك.

www.elromancia.com

٣ ـ إنها ابنتي!

كان التنافر واضحاً بينهما، وممزوجاً بنوع غريب من الحميمية. أراد أن يهرب منها، أراد أن يخرج من السيارة، ليبتعد عنها وعن عطرها، فهي بعيدة المنال.

قاد سيارته في الشارع المحاط بالأشجار، وفهم عندئذٍ ما الذي تعنيه بقولها إن المال لا ينقصها. فعلى جانبي الشارع امتد صفّان من المنازل الفخمة التقليدية المبنية على طراز القرن التاسع عشر. ألقى لانغ نظرة إلى الخارج، فتراءت أمام ناظريه الحدائق المسيّجة والمزركشة بالورود الملونة والأشجار الباسقة.

ـ المنزل الثاني إلى اليسار.

خرقت إيدن الصمت بصوت هادىء. لم تشر إلى أحد تلك المنازل الحديثة التي تحيط بها حدائق شاسعة، إنما إلى مبنىً فيكتوري الطراز مكوّن من طبقتين، بعيد عن الشارع الأساسي، وقد وارته عن الأنظار جدران حجرية عالية وأشجار فارعة.

لم يتوقع أن يكون منزلها بهذه الفخامة. ولم يظن لحظة أنها تعيش في مكان ملفت للأنظار إلى هذا الحد.

ـ عائلتك تعيش هنا؟

سألها ذلك وهو يحدق إلى المنزل. إنه ضخم للغاية ويحتاج المرء يوماً كاملاً لكي يجول فيه.

ـ وا... والدي يعيش هنا.

تلعثمت في كلامها مع أنها في العادة تتكلم بوضوح بالغ.

لم يستطع منع نفسه من السؤال: «وما رأي والدك بما يجري في حياتك؟ أم أنه لا يعرف...؟».

استدارت نحوه ومدت يدها: «شكراً جزيلاً، يا سيد فورسايت لأنك أوصلتني».

بدت أشبه بالأميرة في فستانها الحريري الأزرق. أمسك بيدها الممدودة فسرت في عروقه موجة من الإثارة وتملكته الرغبة في دخول منزلها والتعرف إلى والدها. أراد أن يعرف ما الذي يجري. لعلها هي أو والدها يقولان شيئاً يكشف له جزءاً من الحقيقة، فقد كان الغد يشغل باله. سوف تصل ديلما وعليه أن يوافيها إلى المطار ليأخذها إلى الفندق ثم إلى المستشفى. صورة اللقاء بين المرأتين لاحت تعذب تفكيره. فعينا أوين، وجهه، صوته، وشفافية عواطفه، كلها تفضح حبه لتلك الفتاة.

ترجّل لانغ من السيارة واتّجه نحوها ليساعدها على الخروج: «سوف أرافقك إلى الباب».

قال ذلك بلهجة حاسمة، فهزت رأسها على الفور وقد بدت له فجأة مرتبكة: «لا داعي لذلك».

تملكه إحباط يناهز حدود الغضب: «لا أرى أضواءً كثيرة في المنزل».

ـ وا... والدي سيكون في المنزل.

ها هي تتلعثم مجدداً. يا إلهي! أي نوع من الآباء هو؟ ساوره القلق عليها، فأمسك ذراعها، وقد بدت له أشبه بمهر على وشك الفرار. ولكن في أي اتجاه؟ هذا ما لم يعرفه.

ـ أرجوك، يمكنك أن تعود الآن.

ـ ما الذي يقلقك بحق الله؟

www.elromancia.com

حدّق إليها في الظلام وهو لا يفهم شيئاً مما يجري.

ـ الأمر بسيط. هذا المنزل تلفه التعاسة منذ وفاة أمي، منذ ستة أشهر. أي تقريباً منذ الوقت الذي تعرفت فيه على أوين.

في تلك اللحظة، أضيء نور الشرفة وتناهى إلى مسمعهما صوت رجل:

ـ إيدن، هل هذه أنت؟.

ـ نعم، هذه أنا وبرفقتي صديق.

ثم استدارت بسرعة نحو لانغ: «آه، أرجوك أن تساندني. أنت صديق وقد أقليتني إلى المنزل».

ـ في حين كنت مع صديق آخر، أليس كذلك؟

سألها ذلك بشيء من السخرية، ثم استدرك قائلاً: «يبدو أنك لا تتكلمين كثيراً مع والدك».

ظهر رجل طويل القامة عند الباب وكان ضوء الردهة ينعكس على شعره الفضيّ: «هل قررت أخيراً العودة إلى المنزل؟».

جاء صوته مهذباً وجافاً في آن معاً.

صعدت إيدن الدرجات القليلة المؤدية إلى الباب الأمامي، معلنةً:

ـ أريدك أن تتعرف إلى صديقي. كان ماراً من هنا وعرض عليّ أن يقلّني.

تدخّل لانغ بسرعة، مرتبكاً من موقف الوالد: «سيد سانكلير؟ كيف حالك؟ أنا لانغ فورسايت».

تغيرت ملامح ريمون سانكلير عندما تقدّم لانغ فورسايت نحو الضوء، بطوله ووسامته وسلطته. وكأنه فكّر في أن هذا الرجل من طينتهم، فأطلق تنهيدة ارتياح. شعر أن هذا الرجل يجيد الاعتناء بابنة كاساندرا.

ـ مساء الخير، سيد فورسايت.

استعمل سانكلير لهجته الرقيقة المهذبة ومدّ يده مصافحاً: «لطف منك

أنك أقليت إيدن إلى المنزل. لقد بدأت أقلق بشأنها. هل تتفضل بالدخول؟».

كان يريد أن يعرف المزيد عن هذا الشاب.

ـ شكراً، لا. لديّ الكثير من العمل.

ـ هل أنت من سيدني؟

لم يستطع سانكلير إخفاء فضوله. هز لانغ رأسه نفياً: «أنا من شمال كويتز لاند، وقد أتيت إلى هنا لفترة وجيزة».

تدخلت إيدن فجأة: «هل لي أن أذهب معك إلى المستشفى في الغد؟».

ـ المستشفى؟ أي مستشفى؟

سأل ريمون سانكلير ذلك وقد فاجأه الأمر، فشرح له لانغ: «لقد تعرّض أحد أصدقائنا لحادثة اليوم».

ـ آه؟ أي صديق إيدن؟

ـ أخشى أنك لا تعرفه، يا والدي. هلاّ أسديتني هذه الخدمة، لانغ؟

ما عساه يقول؟ لقد شعر بالنفور من ريمون سانكلير، وفي الواقع لم يشأ أن يترك إيدن في هذا المنزل. ورغم أنهما والد وابنته، إلاّ أنهما يبدوان متباعدين جداً. لا عجب أن هذه الفتاة بحثت عن الحب في مكان آخر، فوجدته في شخص بسنّ والدها.

أومأ وقال بحذر: «إنه مستشفى خاص إيدن، لذا يمكننا أن نذهب في أي وقت. هل يناسبك أن أمرّ بك عند العاشرة؟».

ـ جيد. سأكون جاهزة.

وفكر أنه سوف يأخذها إلى المستشفى ويخرجها منه قبل أن تصل ديلما.

كانت إيدن تصعد السلّم إلى غرفتها، متوترة عندما اعترضها ريمون سانكلير، قائلاً بهدوء: «أنت تأتين وتخرجين على هواك إيدن».

www.elromancia.com

ـ أنا آسفة.

وما لبثت أن استدارت وقد صدمها نحوله: «لم أعرف أنك مهتم إلى هذا الحد. كما لم أشأ أن أثير قلقك».

مرر يده المرتجفة على جبينه: «جدك أيضاً لم يكن يعرف بمكان وجودك».

ـ لم أكلّم جدي منذ يومين. كنت في المدينة. التقيت صديقتي كارلي عند الغداء وذهبت للتسوق. أنا أحاول التعايش مع حزني كما تفعل أنت.

ـ إنها البداية فقط. لقد وقعت في حب أمك عندما كنت لا أزال فتياً. لم أحب يوماً مثلما أحببتها. وعندما تزوجتها شعرت بأنني حصلت على كل شيء، لكن ذلك لم يكن كافياً لها. لم نكن يوماً سعيدين.

ـ أنا آسفة.

قالت إيدن ذلك من دون أن تعنيه حقاً: «أعرف كم أحببت أمي».

ـ آه نعم، لكنها لم تحبني يوماً. لقد تزوجت سرًا من شاب فقير وهي لا تزال مراهقة، ثم انفصلا. لكن ذلك الشاب الفقير سلب قلبها.

ـ أنا آسفة.

أدركت إيدن أنها تكرر هذه العبارة كالحمقاء.

جلس سانكلير على كرسي في الردهة وهو يتابع كلامه: «أنت فتاة طيبة إيدن، ولا أظن أنك قادرة على الخداع، على عكس أمك. ظننت أن الانتحار سوف يحررها».

قالت إيدن محتجّة: «لكنها لم تنتحر. كان ذلك حادثاً».

أجاب ريمون سانكلير ببساطة مؤلمة طعنتها في الصميم: «أهب حياتي، مقابل أن يكون ذلك صحيحاً».

ـ أرجوك لا تعذّب نفسك. لقد تركتنا كلينا.

ـ وأنا أعرف السبب. أتظنين أنني لم ألاحظ أنك ما عدت تناديني «والدي»؟

شعرت إيدن بأن أنفاسها اختُطفت منها ولم يكن أمامها سوى أن تقول:

ـ لقد انقلبت حياتنا رأساً على عقب. ولكنني سأحترمك دائماً لأنك الرجل الذي ربّاني.

ـ شكراً، لكنك لست ابنتي، أليس كذلك؟

نزلت إيدن عن السلّم قائلة: «لقد كذبت كاساندرا على كلينا».

ـ لطالما عرفت ذلك، لكنني كنت أقنع نفسي بأنني مخطىء. كنت مستعداً لأي شيء لأبقي كاساندرا إلى جانبي، ولكي أحافظ على حظوتي عند جدك. جدك أخطأ منذ البداية، فقد كان يعلم بالأمر.

ـ كان عليكم جميعاً أن تواجهوا الحقيقة. لعلّ كاساندرا حرّرتنا كلنا بموتها.

ـ أريدك أن تعلمي أنني مولع بك يا إيدن. كنت فتاة جميلة جداً ولكم وددت أن تكوني ابنتي فعلاً. خداع كاساندرا أفسد علاقتنا ببعضنا البعض، ومع ذلك أنا أقدّرك وأحترمك وأنا فخور بإنجازاتك. أنت شابة ذكية، وآمل أن تحظي بالحياة التي تستحقينها. أمّا بالنسبة لي، فقد فات الأوان.

نبذت إيدن الفكرة بإشارة من يدها وقالت مشجّعةً: «هذا غير صحيح. لا تزال في عزّ شبابك».

هزّ رأسه مجيباً: «كنت وسيماً وشاباً في الماضي، لكن التعاسة جعلت منّي عجوزاً مسناً. على أي حال، سوف أرحل بعيداً، سوف أسافر، فلا شيء يدعوني للبقاء. جدك لم يعد يطيق رؤيتي كأن ذلك يشعره بالذنب. إيدن، هذا المنزل لك، اشتراه جدك ولم تحبه كاساندرا يوماً...».

ـ لا أريد المنزل، ريمون. فهو يحمل ذكريات أليمة لكلينا. ما رأيك لو نبيعه؟

www.elromancia.com

مرر يده متخللاً شعره الفضي، وقال: «أعرف الكثير من الأشخاص المستعدين لشرائه. سوف أتدبر الأمر وأعطيك ثمنه. سوف أقوم بذلك من أجلك. والآن.. ماذا عن هذا الشاب فورسايت؟».

استعاد حيويته فجأة عند ذكر هذا الموضوع: «يبدو رائعاً وأرستقراطياً. ما هي مهنته؟».

حمدت إيدن الله لأنها تعرف الكثير عنه من أوين، فقالت بكل ثقة:

ـ يعمل في مجالات كثيرة كالعقارات والاستثمارات وإلى ما هنالك. كما يملك مزرعة لتربية الماشية، يديرها صهره وأخته. وهو يهتم كثيراً بالخيول.

ـ يا إلهي! يبدو رجلاً مهمًّا. آمل ألا يكون متزوجاً.

فردت إيدن وهي تحاول الابتسام: «لا، ليس متزوجاً».

ـ يبدو مهتمًّا جداً بك.

أجفلها ريمون سانكلير بملاحظته هذه: «إبقي معه عزيزتي إن استطعتِ. يبدو لي أنه لن يخذلك أبداً».

* * *

استيقظت إيدن باكراً، وشعرت بالسعادة وهي تفكر أن تلك المهزلة سوف تنتهي اليوم. لقد اتصلت ليلة أمس بالمستشفى قبل أن تخلد إلى النوم وها هي الآن تتصل مجدداً لتطمئن إلى حال أوين. بدا لها أكثر إشراقاً وكأنه استعاد عافيته. قال لها معترفاً: «بالأمس قبل الحادثة التي تعرضت لها، انتابني إحساس بأنني قد أفقدك. أما الآن، فأنا أشعر بالارتياح، لقد طمأنني الأطباء وقالوا لي إنني بخير وإنني سأخرج قريباً».

ـ آمل ذلك. لانغ سيعرّج عليّ عند العاشرة.

ـ أي أنه سيصل بعد قليل.

وحاولت أن تبدو جادة قدر المستطاع: «عليك أن تخبره الحقيقة أوين».

ـ ما من سبب يمنعك من أن تناديني أبي.

ـ عليك أن تخبره، أبي.

وشعرت برعشة دافئة عند استعمالها هذه الكلمة.

ـ بالطبع سوف أخبره. سوف أخبر العالم بأسره.

ـ أخبر ديلما أولاً.

ـ سوف أفعل، حبيبتي. لا تستعجلي الأمور.

ـ إنني أشعر بالقلق.

فهي تعلم أن ديلما ستشعر بالسوء.

ـ سيجري كل شيء على ما يرام.

قال لها أوين ذلك بلهجته المطمْئِنة ثم سألها: «ما رأيك بلانغ؟».

بل قل ما رأيه هو بي؟ نظرت إيدن إلى انعكاس تكشيرتها في المرآة: «مع كل هذا التكتّم، ظن أنني حبيبتك».

ـ يا إلهي!

بدا أوين مذهولاً تماماً: «ألم يلحظ النظرة الأبوية في عيني؟».

ـ لا أظن ذلك. وسيسرّني لو تصحح له وجهة نظره.

ـ سوف أفعل ذلك عزيزتي، أعدك.

وضحك أوين ضحكة خافتة وكأن المشاعر المتضررة يمكن أن تُشفى في لحظة.

وصل لانغ في الوقت المحدد، وكانت إيدن تنتظره خارج المنزل.

خرج من السيارة وقد بدا وسيماً جداً، وراحت عيناه تجولان عليها:

ـ صباح الخير.

ـ صباح الخير.

أملت ألاّ تكون وجناتها قد احمرّتا بسبب رؤيتها له مجدداً: «لقد تكلمت مع أوين».

ـ وأنا أيضاً.

ـ نعم، لقد أخبرني.

الآن وقد شارفت المسرحية على الانتهاء، بدأت إيدن تشعر بالهدوء.

ـ عرفتُ أنه سيخبرك. بدا لي أفضل حالاً.

فقالت وهي تجلس في المقعد بجانبه بينما هو يمسك لها الباب: «نعم، أليس هذا رائعاً؟».

كانت إيدن قد أمضت بعض الوقت في اختيار ثيابها لهذا اليوم، فارتدت سترة قصيرة ذات لون ليلكي وتنورة طويلة مزينة بالأزهار، فبدا لون السترة ملائماً تماماً لتلك الأزهار المنثورة على التنورة وللحذاء المفتوح الذي تنتعله. على الأرجح أنها ستلتقي ديلما اليوم، إلا أن اهتمامها بملابسها لم يكن من أجل زوجة أوين.

جلس لانغ بجانبها ووضع حزام الأمان ثم أدار المحرّك: «كيف حالك؟»

ـ بخير.

قاد سيارته في طريق تظلله أشجار أوشكت براعمها على التفتّح.

ـ سامحيني إن كنت أتجاوز حدودي، لكن لا يبدو لي أن الحزن قرّب بينك وبين والدك.

كم ودّت لو تقول له الحقيقة: إنه ليس والدي. لكنها قطعت وعداً لأوين.

ـ لم نكن يوماً مقرّبين من بعضنا.

ـ هذا محزن. لقد أحببت والدي كثيراً، وتحطّم فؤاد الجميع عندما خسرناه.

ـ إذاً، لقد عرفت الحزن أنت أيضاً؟

ـ نادراً ما تخلو الحياة منه. ولكنني استثمرت حزني لصالحي وصالح

عائلتي. لقد اضطر والدي لبيع منزل العائلة، وهو مزرعة ماشية ضخمة. فعملت على استعادته.

لم تشك إيدن بقدرته على ذلك: «لا بد أنك عملت بجهد».

ـ لم أفعل شيئاً في حياتي سوى العمل، فحياتي الاجتماعية محدودة. ساعدني أوين كثيراً فعرّفني إلى العديد من رجال الأعمال. واكتشفت أنني أتمتع بموهبة كسب المال، ولا أزال أتمتع بها حتى اليوم والحمد لله.

ـ إذاً، أنت رجل تتمناه أي فتاة.

لأول مرة تمكّنت إيدن من التحدث من دون أن تشعر بالتوتر بينهما.

أجابها لانغ من دون أي ابتسامة: «لم أفكر بالأمر».

ـ ولكن لا بد أنك فكرت في استمرارية سلالة فورسايت.

ـ ما رأيك؟

ورمقها بنظرة جانبية سريعة، فأسرها ذلك الوميض في عينيه الجميلتين، وأدركت أنه مثير بشكل مذهل، لكنها لم تشأ الإقرار بذلك.

ـ هل لديك صديقة؟

لم تصدق أذنيها حين سمعت نفسها تطرح هذا السؤال، لقد خرجت الكلمات منها تلقائياً.

سألها بلهجة ساخرة: «ولِمَ تهتمين؟».

ـ إنه مجرد سؤال.

ـ سوف أذهب إلى المطار لأحضر ديلما. عليك أن ترحلي قبل عودتنا. أؤكد لك أن ديلما قادرة على إثارة فضيحة، وأوين لن يتحمل الانفعال الآن.

ـ أتظنها ستثير فضيحة وزوجها في المستشفى؟

ـ أخشى أن ذلك لن يقف في وجهها. وسوف تدرك أنك السرّ الكامن وراء رحلات أوين وأسفاره الكثيرة. فهو لم يقدّم أي تفسير لأحد منذ ستة أشهر.

www.elromancia.com

ـ أنت مخطىء. لقد صعب الأمر على كلينا، ولكنه سيشرح كل شيء اليوم. لقد قطع لي وعداً بذلك.

اشتعلت عيناه بشيء من الشفقة وهو يقول لها: «إذاً عندما تشتعل ديلما غضباً، تذكري فقط ما قلته».

كان أوين جالساً على السرير في غرفته وقد بدت جراحه أسوأ مما كانت عليه في الليلة الماضية. ولكنه حاول أن يرسم على وجهه ابتسامة عريضة عندما ظهرا عند الباب.

اتجهت إيدن نحوه، فاتحةً ذراعيها وأمسكت وجهه بيديها وهي تقول:

ـ مرحباً. . . . أبي.

وانحنت تهمس هذه الكلمة في أذنه.

أجابها بصوت مفعم بالمشاعر: «صباح الخير، حبيبتي».

ثم وجه كلامه إلى لانغ: «يسرني لقاؤك يا لانغ. لم ترني يوماً مريضاً منذ التقينا».

ـ وآمل ألاّ أراك مجدداً على هذه الحال.

واقترب لانغ ليصافح يد صديقه: «لقد أخفتنا يا رجل».

فأومأ أوين: «وأنا خفت أيضاً، ولكن، الحمد لله أنني نجوت. إجلسا. أرجوكما. . . اجلسا».

وأشار إلى الكرسيين، فأحضرهما لانغ ونظر إلى إيدن وهي تجلس لجهة السرير، ثم ما لبث أن قال: «ليس لدي الكثير من الوقت يا أوين. ستصل ديلما إلى المطار عند الساعة الحادية عشرة. سأوافيها إلى هناك، فهي تتحرق شوقاً لرؤيتك».

أومأ أوين سعيداً: «وابني روبي؟».

ـ الرحلة طويلة كما تعلم، لذا تركته ديلما مع مدبرة المنزل.

تردد لانغ لحظة ثم نظر إلى صديقه وقد أذهله موقفه: «سامحني أوين. لم أشأ أن أتدخل قبل أن تخبرني بنفسك ولكن يبدو أن الحادث قد سرّع الأمور. أريدك أن تعرف أنني أفكر فيك وفي ديلما وروبي وحتى إيدن. ويبدو لي أن ما ستواجهه ديلما سيكون قاسياً عليها».

أطلقت إيدن ضحكة قصيرة متقطعة. فلطالما فكرت في أن ديلما قد تنتقم منها عندما تعرف كل ما أخفاه زوجها عنها.

ـ أخبره يا أوين. لا يمكنك أن تلوذ بالصمت.

لمس أوين يدها وامتلأت عيناه الداكنتان حزناً: «لقد بقيت صامتاً لسنوات طويلة، فإحياء الماضي أمر مؤلم جداً».

ثم حوّل نظراته إلى شريكه الذي وقف عند النافذة من دون حراك: «منذ عرفتك يا لانغ، لم أخفِ شيئاً عنك. كنّا صديقين حميمين وشريكين. نحن أشبه بعائلة واحدة».

ها هي الحقيقة تقترب، فكر لانغ وهو يحاول التغاضي عن الانقباض الذي شعر به في صدره، وكأنه لا يستطيع مواجهة الأمر. لكن أوين استمرّ في الكلام: «منذ عشرين عاماً، اكتشفت أن لديّ ابنة. المرأة التي تزوجتها لفترة قصيرة، كاساندرا، أنجبت إيدن».

ـ ماذا؟

تملكته صدمة ممزوجة بالغضب: «بحق الله أوين! كيف يُعقل أنك لم تخبر أحداً؟ إنسَ أمري أنا. ماذا عن ديلما زوجتك؟».

وكأن كل كلمة قالها أصابت أوين بالصدمة فقال: «أردت أن أتكلم ألف مرة، ولكنني لم أملك الشجاعة».

www.elromancia.com

قالت إيدن وهي تمسك يد والدها: «لكن، الآن باتت لديك الشجاعة، أليس كذلك؟».

حاول أوين جاهداً أن يشرح الوضع: «أنا وكاساندرا كنّا متيمين ببعضنا البعض، فتزوجنا سرًّا، لكنني كنت مفلساً في تلك الأيام وكان والدها ضدي تماماً. وعندما علم بالأمر أجبرنا على الانفصال. ثم تزوجت ذلك الرجل وكانت تحمل طفلي».

ـ وأنت تركت ذلك يحصل؟

ولمعت عينا لانغ.. ما تسمعه أذناه يفوق قدرته على التصديق.

ـ لم أعلم بذلك إلاّ في وقت لاحق.

حاول أوين أن يدافع عن نفسه ويحميها من قوة المشاعر التي تملكته لذكر الماضي: «لم أعرف إلا بعد ثلاث سنوات من زواج كاساندرا. لقد كتبت لي رسالة يومها. حاول أن تفهم لانغ».

ونظر إلى وجه صديقه الداكن: «أعلم أننا مختلفان على أكثر من صعيد. وأن ردة فعلك ستكون مختلفة لو كنت مكاني، لكن كاساندرا توسلتني بأن أحفظ السر. قالت لي إنها وطفلتنا سعيدتان وآمنتان. وقد أسمتها على اسم والدتي، إيدن».

ـ يا إلهي!

هزّ لانغ رأسه ذاهلاً وهو يفكر كيف أمضت تلك المرأة، كاساندرا، حياتها وهي تعيش كذبة. أليس من الغرابة أن يتصرف أحدهم بهذا الشكل؟ كاساندرا وأوين! أمّا إيدن، فقد جعلت منه غبياً عندما تركته يظن أنها على علاقة غرامية بأوين. ألم يكن بوسعها أن تتكلم؟ لكنها فضلت ألا تفعل. نظر إليها بتعبير متجهم.

بدت عيناها الجميلتان مضطربتين جداً: «لقد شعرت بالصدمة، أليس كذلك؟».

ـ ليس ذلك فقط، بل أشعر أنني تائه تماماً. لا أفهم كيف سمحتما لي بأن أظن السوء بعلاقتكما.

اعترض أوين قائلاً: «لكنني لم أعتقد لحظة أنك ظننت أمراً مماثلاً».

فهو كان غافلاً تماماً عن أن لانغ رآهما معاً: «بحق الله يا رجل! قد أكون سيئاً، ولكن يستحيل أن أخرج مع الفتيات. أنا رجل متزوج ولإيدن ابنتي. إنها جزء مني، من لحمي ودمي».

وبدا أوين غاضباً وحانقاً جداً.

فقال لانغ غير عابىء في تلك اللحظة إن افترقت طريقه عن طريق أوين:

ـ حسناً، لقد استغرقت وقتاً طويلاً لتكتشف ذلك.

أجاب أوين بهدوء وهو يقرأ تعبير شريكه: «كان لديّ أسبابي لانغ».

ـ أنا واثق من ذلك.

كان لانغ ينظر من النافذة وأشعة الشمس تغمر وجهه الفاتن بنورها:

ـ ومن أنا لأدينك على أي حال؟.

ـ أنت صديقي. عليك ألاّ تنسى ذلك. لا أتوقع منك أن تفهم. في الحقيقة، أنا لا أفهم نفسي أحياناً. أظن أن قدرتي على الحب ماتت مع كاساندرا. أنت لم تعرفها، لكنها امرأة لا تُنسى. لقد سكنت أفكاري وقلبي طيلة حياتي. عندما حضرت جنازتها ورأيت ابنتي للمرة الأولى، وسط المأساة، عرفت الابتهاج! فقد حان دوري لأستمتع بابنتي.

استدار لانغ ليواجه الرجل الممدّد في السرير: «وكانت إيدن تلك التي تقابلها طيلة تلك الأشهر؟».

أومأ أوين: «لم يكن الأمر سهلاً على إيدن. كان عليها أن تتوصل إلى حل. إنها مخلصة تماماً لذكرى والدتها ولكن كان عليها أن تواجه الكثير من

الألم والمشاعر المجروحة. كنّا بحاجة إلى الوقت لتتكلم عن كل شيء. كنت عازماً على إخبارك عند العشاء. حاولت أن أقول لك شيئاً قبل أن ينقلوني إلى غرفة العمليات، لكنني لم أستطع».

عندئذٍ استدارت إيدن لتواجه لانغ: «حاول أن تفهم الأمر، لانغ. الخداع لم يكن مقصوداً البتة. أبي أراد أن يخبرك القصة بأكملها».

ـ لكن الحادث أعاق الأمور طبعاً.

وجالت نظراته عليها، قاسية ومتحدية: «على أي حال ظهرت الحقيقة الآن. أظنني بحاجة لبعض الوقت لاستيعابها ولكنني سعيد لكليكما. أخيراً سيعيش أوين بسلام».

ألقى لانغ نظرة سريعة إلى ساعة يده: «عليّ أن أذهب الآن، كي لا أتأخر على ديلما. وغنيّ عن القول بأنني لن أخبرها شيئاً من هذا».

ـ لن أكون هنا، إذا كان هذا ما يقلقك.

قالت إيدن ذلك وهي تقف عن كرسيها وقد بدت ساحرة في ثيابها الجميلة: «على أبي أن يخبر ديلما على انفراد».

قال أوين وكأن قدرته على التفكير قد تعطلت: «أفضّل أن تبقي هنا».

ـ اسمع أبي، لا يمكنني ذلك.

شعرت بإحساس غريب يلفّها، ولم تعلم أكان ذلك غضباً أم لا. غضب من نفسها، من لانغ فورسايت أو من والدها؟ لقد سمح أوين للماضي بأن يسيطر على حياته. والأسوأ من ذلك أنه لم يكن منصفاً مع زوجته. وقد أدركت إيدن من سيكون الضحية في كل هذا.

ـ حسناً حبيبتي، كما تريدين، ظننت فقط أن ديلما ستفهم الأمر أكثر عندما تراك.

فوجئت إيدن بكلامه، ألا يفهم والدها كيف تفكر النساء؟

ـ تفهم ماذا أبي؟ إنني صورة عن أمي، الفتاة التي أحببت؟ لا أظنني سأخاطر بذلك.

ـ أتودّين مرافقتي؟

عرض لانغ عليها ذلك بصوت ثابت: «يمكنني أن أقلّك إلى منزلك قبل أن أتوجه إلى المطار. ليس لديك سيارة».

قاطعهما أوين قائلاً: «إنها فكرة جيدة».

مع أنه لم يكن مقتنعاً بذلك، فهو يريد من إيدن أن تبقى.

ـ كانت زيارة قصيرة.

أبدت إيدن هذه الملاحظة عندما عادا إلى السيارة، لكن لانغ قاد من دون أن يتفوه بأي كلمة، فتابعت كلامها: «على الأقل، سوف يمنح ذلك أبي بعض الوقت لكي ينظم أفكاره قبل أن تأتي ديلما».

جاء صوته ساخراً عندما أجابها: «وكم يحتاج من الوقت بعد؟ لقد حظي بعشرين عاماً».

ـ أنت لا تعرف المسامحة أليس كذلك؟

ـ لا أحب أن أبدو غبياً، آنسة كارتر. وأجرؤ على القول إن المسكين سانكلير لم يحب ذلك هو أيضاً. تساءلت ما الخطب بينكما.

ـ لم أعرف أنه ليس والدي إلى أن أتى أوين وأراني رسالة أمي.

ـ وعندئذٍ عادت كل الأمور إلى مجاريها.

ـ لم أحظَ بطفولة سعيدة إن كان هذا ما تقصده. لكن الرجل الذي ناديته «والدي» طيلة حياتي حاول أن يفعل المستحيل من أجلي. لم يبخل عليّ بشيء: العلم والملبس والسفر.

- لا شك أن جدك كان ليتدخل لو لم تحصلي على ذلك. يبدو أن دوره كبير في هذا كله.

- جدي رجل محطّم.

تكلمت إيدن بهدوء وقد بدا لها غضبه منها ومن أوين واضحاً.

- أمك تركت وراءها الكثير من القلوب المحطّمة.

- هذا صحيح وأظن أن موتها جاء حافزاً لمشاعر الآخرين.

- يا إلهي! إيدن، لا تدعي هذا يحصل معك.

تنهدت بعمق: «أنا أقوى من أمي كما أنني متعلمة. هي لم تتمكن من إنهاء علومها، أمّا أنا فحائزة على إجازة في القانون».

فقال وهو يرمقها بنظرة قاسية: «إذاً لا بد أنك تجيدين الخداع؟».

- أردت أن أخبرك الحقيقة. هل تظن أنني كنت مسرورة للطريقة التي كنت تنظر فيها إليّ؟

- هل تتوقعين منّي أن أصدق أن أوين أرغمك على السكوت؟ ظننت أن النساء لا يعرفن معنى السكوت أبداً.

- تبدو لي شخصاً لاذعاً جداً.

- حسناً، ربما. وسانكلير، ما رأيه بكل هذا؟

- ولِمَ أخبرك؟

رمقها بنظرة أخرى قائلاً: «يا إلهي! ألم تقولي إننا سنعرف الكثير عن بعضنا؟».

- والدي بالتبني أقرّ لي بالأمس فقط أنه كان يعلم دائماً في داخله أنني لست ابنته.

عبس وكأنها تواجه خطراً ما: «إذاً لا يمكنك أن تبقي هناك».

- أين؟ أتعني في منزلي؟

- هذا بالضبط ما أعنيه. بعض الناس يصبحون سيئين للغاية إذا ما تعرضوا للخيانة، طبعاً تعلمين ذلك. ولا بد أن سانكلير يشعر بالغضب الشديد.

- لن يلحق بي أي أذى. ريمون سانكلير رجل قانون، وقريباً جداً سوف يرحل. ينوي السفر ويريدني أن أحتفظ بالمنزل أو أحصل على ثمنه بعد البيع. ويبدو أن كثيرين مهتمون بشرائه. فمع أنه أشبه بضريح كبير ولكن بإمكان المهندس البارع أن يدخل عليه الكثير من التحسينات.

رمقها بنظرة لاذعة أخرى: «إذاً أنت الوريثة؟».

- قلت لك إنني ميسورة الحال.

- هذا جميل، لكن اسم أوين مدوّن في لائحة أغنى مئتي رجل في العالم.

- هذا لا يعني لي شيئاً.

وفكرت لحظة في أن تطلب منه أن يوقف السيارة، فها هو يوبّخها من جديد.

- جيد. لأن ديلما تعتبر ابنها وريث أوين.

تفحصت جانب وجهه الوسيم ويديه القويتين على المقود وقد بدا لها واثقاً جداً من نفسه وخبيراً في القيادة. ثم سألته بهدوء: «المال لم يجلب يوماً السعادة. أعرف الكثير من الأشخاص السعداء في حياتهم مع أنهم لا يملكون الكثير من المال».

أجابها بلهجة ساخرة: «ولكن من الجيد الحصول عليه رغم كل شيء».

- ومع ذلك أقول إنه ليس جوهرياً.

وأحنت إيدن رأسها ثم قالت بصوت خافت ولهجة اعتذار: «أودّ أن أقول لك إنني آسفة جداً لأنني خيبت أملك. هل تسامحني؟».

بدت كلماتها مؤثرة وقد صدرت عن امرأة جميلة، تشعر بالندم، ومع ذلك أجاب لانغ بحدّة وكأن الجو سوف يشتعل: «آسف، آنسة كارتر. لقد فات الأوان».

www.elromancia.com

٤ ـ كن صديقي

انتظر لانغ حوالى ساعة قبل أن يعود إلى المستشفى، فلدى أوين وديلما أمور كثيرة يتكلمان عنها. وكم تمنى لو أن الأرض تنشق وتبتلعه فهو متعاطف مع ديلما، لأن أوين لم يمنحها اهتماماً كافياً في حياته. وهو واثق أن لديها ما يكفي من حجج لتجادله، ولعلّ ذلك بسبب عدم الأمان الذي كانت تشعر به، فأوين لم يحبها يوماً حب الزوج لزوجته، وها قد تبيّن أنه كرّس حياته العاطفية لذكرى من الماضي.

شعر أن علاقته بأوين ستمر بوقت عصيب ولكن هذا خارج عن إرادته. أي نوع من الناس هما أوين وكاساندرا؟ كلاهما عامل ابنته بالطريقة التي تناسبه هو. من حق كل طفل أن يعرف والديه ويتغذى عاطفياً من حنانهما ولكن هذا لم يحصل مع إيدن. لو أنه ليس... ماذا؟ لم يستطع أن يعبّر عن مشاعره المتناقضة الحائرة.

لو لم تخدعه، لاستطاع أن يجد في قلبه شيئاً من التسامح حيالها. لكنه لم يستطع التخلص من شعور العدائية نحوها، وبدا هذا الشعور أشبه بقبضة ملتفّة حول أضلاعه ومع ذلك كان فيه شيء من الإثارة.

لقد شعر بالرغبة نحوها منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناه عليها، فتملكه الوهن والضعف وهو لا يحب هذا النوع من الأحاسيس القوية. لقد عرف ما يكفي منها في حياته. عليه أن يخمد مشاعره تجاه هذه الفتاة، خشية التعرض إلى أزمة أخرى في حياته. كان يودّ حمايتها ولكن عندما ناشدته ليتفهمها، رفضها بقوة، وهذا ليس من طبيعته.

عندما أوصلها إلى المنزل، شكرته بكل لباقة. كان يعرف أنها تشتعل من الداخل وقد رأى النيران تلتهب في عينيها البنفسجيتين ولكنها أخفت تصرفاتها بقناع من التهذيب التاجم، على الأرجح، عن ظروف حياتها وتدريبها القانوني. لكن المشكلة لم تنته هنا. فأوين رجل متزوج وعليه أن يتفاهم مع زوجته التي لم تشعر أساساً بالأمان معه خلال حياتهما الزوجية. إنه يتمنى أن يرى ابنته كل يوم وإيدن أظهرت كل رغبة في رؤية والدها، والآن حان دور ديلما لتقبل بهذا الوضع. فأمور كثيرة تعتمد على رد فعلها عندما يكشف لها أوين ذلك السر الدفين.

منذ اللحظة التي دخل فيها لانغ الغرفة، بدا له جليّاً أن الحديث الخاص الذي جرى بينهما كان سيئاً، فقد بدت ديلما محطّمة. أراد أن يستدير ويعود من حيث أتى، لكنه لم يستطع. فأوين ليس في وضع يسمح له بالمشاجرة، وقد بدا من عينيه أنه يحتاج إلى الدعم، فالأمور تزداد سوءاً.

يبدو أن ديلما لم تتقبل وجود ابنة لأوين، وفي المقابل أدرك لانغ أن أوين لن يسمح لديلما بأن تتجاهل قراراته أو تتدخل في مخططاته. حتى إنه فكر في أن أوين لن يتردد في إنهاء زواجه إذا ما تصرفت ديلما بحماقة وقالت إنها لا تريد رؤية إيدن في منزلها. فهو يعرفها جيداً ولن يفاجئه أن تفعل ذلك.

وقف لانغ عند الباب، فنظرت إليه ديلما وقد بدت العضلات متشنجة في عنقها الطويل. قالت وهي تشير بإصبع الاتهام إلى أوين: «لقد نطق أخيراً. لم تخرج كلمة من شفتيه عن الماضي، طيلة الوقت الذي أمضيناه معاً. وها هو الآن يفيض بالكلام».

كشّر أوين: «ديلما ملكة الدراما! قلت لها إننا سنتدبر أمرنا. لكنها تصوّر الأمر وكأنني خنتها. إيدن جميلة، أليس كذلك لانغ؟».

ـ جميلة، ذكية وساحرة.

ولم يكن هناك من داعٍ للإشارة إلى أنها أكثر من هذا بكثير، فديلما غاضبة ومجروحة في كرامتها. ومن يمكنه أن يلومها؟ فإذا كان هو يشعر بما يشعر به الآن، فلِمَ يلوم ديلما على شعورها بالخيانة؟

ـ أنت لم تكن تعرف بالأمر، لانغ؟

استنجدت ديلما بلانغ، فقاطعها أوين بلهجة حادّة: «لا تكوني غبية يا امرأة. أنت تعرفين لانغ بما يكفي لتدركي أنه لو عرف، لحثّني على إخبارك».

وبدت ديلما منهارة وسط محنتها وهي تسأله: «إذاً لِمَ لم تفعل ذلك؟».

ـ بصراحة يا عزيزتي، لم أظن أن هذا الأمر يعنيك.

جاء ردّه فظًّا ثم تابع: «حصل هذا كله منذ زمن بعيد. قبل أن أتعرف إليك. وأشك في أنني كنت لأفعل شيئاً لو لم تمت كاساندرا».

ـ كاساندرا! أي نوع من النساء كانت؟ تقول إن ذلك حصل منذ زمن بعيد؟ لكن يبدو أن الأمر لم ينتهِ بعد، وعلى الأرجح أنه لن ينتهي أبداً. ما الذي تريده تلك الفتاة؟

أجاب لانغ، بينما حوّل أوين نظره إلى النافذة: «ديلما، إنها تريد والدها بكل بساطة. فالرجل الذي أخذ هذا الدور طيلة حياتها لم يمنحها الكثير من الحب. لقد التقيته، إنه رجل آخر سمح لنفسه بأن يكون أسير الماضي. وأيًّا يكن الحب الذي كان في قلبه، فقد كان لوالدة إيدن دون سواها».

ـ لا أصدق هذا!

فركت ديلما صدغيها، عاجزة عن التصديق: «ألا يُفترض بأن تكون كاساندرا تلك ميتة؟».

ـ ميتة تماماً.

أجاب أوين بفظاظة وكانت عيناه الداكنتان مشتعلتين: «علاقتي بكاساندرا انتهت منذ خمسة وعشرين عاماً. آسف لأنني لم أخبرك بمأساة حياتي، ديلما، فلا بد أن ذلك كان ليشرح لك الكثير عني».

ـ كان ليشرح لي لِمَا لم تستطع أن تحبني.

قالت ديلما ذلك ونظراتها مركزة على زوجها، فيما أجفل هذا الأخير متألماً: «تعرفين جيداً أنك أنت التي أصريت على الزواج بي. أما أنا فبذلت ما بوسعي. ولم أخنك يوماً».

ارتسم على وجه ديلما تعبير كالح: «يبدو لي ذلك أشبه بالموت، موت الزواج. ولكنني لن أرحل فارغة اليدين. أريد الوصاية على ابني».

أطلق أوين ضحكة ساخرة: «كاساندرا حرمتني ابنتي والآن أنت! ما مشكلتك؟ إيدن لا تشكل أي تهديد لك أو لروبي. إنها مخلوقة دافئة وودودة. أي نوع من النساء أنت، ديلما؟».

عندما عادت ديلما برفقة لانغ إلى السيارة قالت بعزم: «أريد رؤيتها لانغ».

ـ هذا الأمر عائد لإيدن، فهي ليست مضطرة لمواجهة أحد. وعليّ أن أخبرك بأنها ليست خصماً سهلاً. ربما افتقرت إلى الحب في حياتها، ولكنها لم تفتقر إلى المال. لقد حازت على دراسة ممتازة وهي الآن محامية تعمل في شركة جدها. إنها شركة مرموقة كما علمت.

لم يثر ذلك اهتمام ديلما وجاء صوتها مليئاً بالغيرة: «كيف يبدو شكلها؟ أتشبه والدتها؟ هذا ما يقلقني».

ـ ليتني أستطيع أن أقول لك العكس ديلما، لكن أوين أقرّ بأنها صورة عنها.

ـ أحمد الله على أنها ابنته، وإلاّ لأُغرم بها بجنون.

رمقها لانغ بنظرة معنّفة: «لا أظن أن الكلام بهذه الطريقة يساعد الآن حتى لو كنت غاضبة. ربما أخطأ أوين لأنه تصرف بتلك الطريقة ولكننا نعرفه جيداً، ولا بد أنه تعذب كثيراً طيلة تلك السنوات. إيدن ابنته، التي فقدها وحزن عليها لسنوات طويلة. والآن اجتمعا بوفاة كاساندرا».

ـ كيف ماتت؟

ـ في حادث سيارة.

أجابها بذلك من دون أن يأتي على ذكر التكهنات التي تلفّ ظروف موتها.

ـ أشعر أن قصة تلك المرأة ما زالت غامضة. هل كان والدها بالنسبة إليها أكثر أهمية من الرجل الذي تحبّ؟

وفكر لانغ في أن رأي والده هو كان مهمًّا جداً بالنسبة إليه.

ـ كان أوين لا يزال صغيراً ويعمل لدى صانع سفن. أمّا كاساندرا فكانت طفلة وحيدة ولم تستطع مخالفة أمر والدها.

ـ تعني أنها لم تستطع العيش في مستوىً أدنى من مستواها. أنا أسمّي هذا جبناً.

ـ هذا لا يهم الآن. حياة كاساندرا انتهت بعد أن عقّدت عيشها وعيش الآخرين.

ـ لطالما شعرت أن في حياة أوين الكثير من الأسرار. أسدني خدمة لانغ. اتصل بها. قل لها إنني أودّ إلقاء التحية عليها. لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً. سوف أبقى في السيارة، ولكن من الضروري أن أراها.

* * *

أجابت إيدن على الهاتف عند الرنّة الثالثة. عرفت على الفور صوت المتكلّم، لكنها ترددت قليلاً عندما نقل إليها رغبة ديلما في رؤيتها. فسألته بهدوء: «هل هي مستاءة؟».

ـ نعم.

كان ذلك بديهياً وجوابه لا يفي الواقع حقّه: «لقاء قصير فقط. ديلما متعبة ولا رغبة لديها في إزعاجك. سوف تبقى في السيارة. ربما بإمكانك أن تخرجي لرؤيتنا».

ـ ما من مشكلة.

ثم تابعت تقول بلهجة جعلتها تبدو قادرة تماماً على تدبّر أمرها: «أنا بالانتظار».

ـ سنكون عندك بعد عشر دقائق.

فُتحت البوابة الرئيسية المصنوعة من الحديد المشغول على مصراعيها عندما وصلا. فقالت ديلما وهي تنظر إلى العقار الشاسع الفخم: «إذاً نحن نتواجه مع فتاة رفيعة المستوى».

صحّح لها لانغ تعليقها بنظرة غاضبة أخرى: «نحن لا نتواجه مع إيدن».

شعرت ديلما بالاضطراب حالما رأت إيدن تتجه نحوهما بكل رشاقة والهواء يتلاعب بخصلات شعرها الطويل وبحاشية فستانها الجميل.

أوقف لانغ السيارة، فاقتربت إيدن منهما من دون أي ابتسامة، ولكنها بدت هادئة جداً: «مرحباً لانغ».

قالت ذلك بنظرة جانبية إذ كان تركيزها منصباً على المرأة الجالسة في السيارة.

ـ مرحباً.

حيتها إيدن بابتسامة دافئة وودودة: «تسرّني رؤيتك ديلما».

حاولت ديلما قدر المستطاع أن تسيطر على انفعالاتها، لكن عبثاً، فانفجرت قائلة وقد اصطبغ وجهها بلون أرجواني داكن: «أنت ووالدك كنتما تلتقيان سراً لأشهر».

آه لا! وفكر لانغ في أن كل شيء سوف ينهار. لقد وعدته ديلما بأن تتصرف بشكل متمدّن.

ـ ستة أشهر ليست بوقت طويل، سيدة كارتر. أما أربع وعشرون سنة،

فبلى. لم أعرف شيئاً عن أوين طيلة تلك المدة. أنا آسفة جداً لأنك مستاءة، وأريدك أن تعرفي أنني أفهم شعورك تماماً.

ـ كيف يمكنك ذلك؟

وضحكت ديلما ضحكة ساخرة متشككة، ولم تتمكن من سماع النبرة الصادقة في صوت الشابة. من الواضح أن الوقت لم يكن مناسباً للكلام، فابتعدت إيدن قليلاً عن السيارة: «ربما من الأفضل أن نتحدث عندما تكونين أقل انفعالاً».

ـ آه نعم!

أطلقت ديلما ضحكة متهكمة وقد شعرت بالكره تجاه نفسها وتجاه تلك الفتاة ووجهها الجميل وهدوئها.

ترجّل لانغ من السيارة، عازماً على قطع اللقاء وقال لإيدن معتذراً: «أنا آسف. كان عليّ أن أعرف. لم أرتكب هذا القدر من الأخطاء منذ سنوات».

ـ لست الوحيد الذي يرتكب الأخطاء.

ثم استدارت إلى ديلما: «إلى اللقاء، سيدة كارتر. أرجوك صدقيني عندما أقول إنني لا أشكل أي تهديد لك أو لروبي».

قالت ديلما بعدائية وهي تمد رأسها من السيارة: «تعنين ابني!».

فلمعت في عيني إيدن شعلة نارية وهي تجيبها: «وشقيقي أيضاً. على الأقل هو حظي بوالده طيلة حياته».

ثم استدارت على عقبيها مبتعدة فوجد لانغ نفسه يلحق بها ويمسكها من دون جهد، رغم أنها كانت تتحرك كالغزال: «إن ألمها وإحباطها يتكلمان وليس هي. لقد أصابنا الألم جميعاً».

ـ نعم، بالفعل.

وشعرت بموجة من الخجل تجتاحها وهي تحدق إلى وجهه الوسيم. فهاتان العينان اللامعتان الشاخصتان إليها تجذبانها إليه وتطلقان رعشة غريبة في كيانها.

وأدركت في تلك اللحظة أنهما لو التقيا في ظروف أفضل لتقرّبا من بعضهما البعض. فقالت: «أتفهم ردّ فعل السيدة كارتر، فلقد أُخفي عنها الكثير من الأسرار. لكن تلك المرأة لن تحبني أبداً. أنا واثقة من ذلك».

أوشك أن يوافقها الرأي، ولكنه قال: «امنحيها فرصة، حتى يهدأ توترها».

ـ لا علاقة للتوتر بهذا. فهي لن تنسى أبداً الدور الذي لعبته أمي في حياة أوين. ربما لم تكن تعرف ما الذي يجري في حياتها أما الآن فقد عرفت. وهي لا تريدني أن أبقى قريبة منها، لأنني سأذكر أوين دائماً بأمي.

ـ أعرف أن الأمر صعب عليها.

كانا قد وصلا تقريباً إلى الباب الأمامي من منزلها عندما فقد لانغ السيطرة على يده للحظة، ووضعها على كتفها. شعر بعظامها الرقيقة وهي تستدير لتواجهه.

ـ لقد واجهت في حياتي الكثير من المشاكل المهنية ولكنني لم أشعر يوماً بمثل هذا الإرهاق. ما رأيك لو نتناول الغداء معاً؟ لم أتناول فطوراً جيداً وأشعر بالجوع. ماذا عنك؟

ـ هل تقترح بأن نبدأ صفحة جديدة؟

بدا صوتها حريرياً ناعماً وهي تسأله هذا.

ـ يمكننا المحاولة.

ـ لا بد أن أبي غاضب الآن لأن ديلما مستاءة.

أطلق لانغ تنهيدة ساخطة وقال: «أوين عنيد جداً. ولو لم يتعرض لحادث ويدخل المستشفى، لبقي صامتاً حتى الآن».

ـ إذاً، وزّعت اللوم مناصفة: جزء لأبي وآخر لي.

كان ذلك صحيحاً تماماً، إلا أن لانغ ألقى نظرة على السيارة حيث تنتظره ديلما: «إيدن، الوقت ليس مناسباً الآن للجدل والتحليل».

حاول ألاّ يبدو فظًّا لكنه لم يفلح: «كما أنني لا أرغب في ذلك. ديلما تنتظرني وسوف أقلّها إلى الفندق. لتتناول طعام الغداء معاً. يمكنني أن أعود بعد نصف ساعة تقريباً».

ـ جيد.

أجابت إيدن بهدوء بالغ لكن أفكارها كانت تتسارع. فهذا الرجل هو عدوّها من نواحٍ عديدة لكنه يحاول في الوقت نفسه التقرّب منها. كان بإمكانها أن ترفض دعوته، لكنها لم تفعل فقد شعرت بشيء من التحدي.

وبعد حوالى ساعة، كانا يجلسان إلى مائدة في أحد المطاعم العصرية خارج المدينة. إنه مكان مناسب للاسترخاء ولكن كليهما كان منفعلاً وكأنهما يخاطران بلقائهما هذا.

ـ ما رأيك بثمار البحر؟

ـ لِمَ لا.

قالت ذلك بإيماءة لبقة وكأن ما طلبه لم يكن مهمًّا، فهي ستحبه في مطلق الأحوال.

ـ أترغبين في كأس من العصير؟

ـ نعم، شكراً. سيفيدني ذلك بعد هذا الوقت العصيب الذي مررت به.

ـ لقد كان وقتاً عصيباً بالنسبة لنا جميعاً. تصرفات أوين طيلة تلك الأشهر كانت مبهمة ومثيرة للغضب.

رفع يده مشيراً إلى النادل بينما كانت هي تقول: «نعم، أعرف».

ثم مدت أصابعها ولمست يده: «أرجوك، اسمح لي أن أعبّر لك مجدداً عن أسفي لما حصل».

ـ كنت أتمنى فقط ألاّ تبقي صامتة عن الموضوع.

أراد أن يمسك بأصابعها النحيلة ولكنه حرص على ألاّ يفعل.

شعرت إيدن بوخزة في بشرتها لاحتكاكها به وتسارعت دقات قلبها:

ـ أردت فعلاً أن أتكلم.

ـ لكن أوين لم يجد الوقت مناسباً؟

ـ أظنه لم يحسن التعامل مع هذا الأمر.

أجابته بسرعة، محاولة أن تزيل ذلك الثقل عن صدرها. في تلك اللحظة وصل النادل، فاستوت في جلستها، وتركته يطلب الطعام لكليهما. لم تكن تميل من قبل إلى إطلاق الأحكام ولكن هذا الرجل أبرز فيها طيشاً لم تعهده.

سألها لانغ: «بمَ تفكرين؟».

وراح يراقبها وهي تشرب العصير، فبدت شفتاها مغريتين جداً.

ـ أليس رائعاً لو تمكّنا من طيّ صفحة الماضي؟

هز كتفيه قائلاً: «الماضي يلازمنا دوماً، وأظن أن حياتنا كلنا سوف تتغير، فسوف يرغب أوين بإبقائك إلى جانبه. لقد وجدك ولن يدعك ترحلين».

ـ تبدو مستاءً من أبي.

أدرك أنه يتفحصها بشكل واضح وكأنه أراد أن يتشبّع من جمالها وأنوثتها: «كان أوين طيباً جداً معي. لا يمكنني أن أنسى ذلك. كان صديقاً حقيقياً لي. ولكنه أخفى عنّا الكثير من الأسرار المهمة. وإذا ما تجاوزنا مسألة حب شبابه الكبير، لم يكن لديه الحق في إخفاء أمرك أنت، ابنته. ولا عجب أن تكون ديلما مصدومة».

www.elromancia.com

ـ وما الذي يضايقك أنت؟ ماذا تعني لك ديلما بالضبط؟

كان من المريع أن تسأل ذلك، لكنها أرادت أن تتحداه كما يتحداها:

ـ هل يُعقل أن صداقتكما تتعدى ما تراه العين المجردة؟.

تغيّر لون عينيه وهو يقول لها: «لا تكوني سخيفة».

حدقت إلى وجهه الوسيم المتعجرف: «من الواضح أنها تعني لك الكثير».

ـ أنا أعرفها منذ زمن بعيد. إنها صديقة وقد رافقتها في أجمل اللحظات وأتعسها.

ـ هل... كنتما على علاقة عاطفية؟

ارتسم على فمه الجميل شيء من الازدراء الممزوج بالتسلية.

ـ ها أنت تضيفين الآن شيئاً جديداً إلى القصة!

أخفضت إيدن رأسها كعلامة اعتذار: «ولكنكما مقربان جداً».

ـ أنا صديق أوين وشريكه وعرّاب ابنه، وديلما تحتاج إلى من يصغي إليها من وقت إلى آخر.

ـ أليس لديها صديقات؟ عائلة؟...

أدركت أنها تبالغ بالضغط عليه ولكن الفضول يتآكلها. لزم لانغ الصمت لبرهة ثم قال: «عادت عائلة ديلما إلى إيطاليا عندما كانت ديلما في سنّك تقريباً. أما هي فقد أحبّت هذا المكان وأظنها كانت متعلقة جداً بأوين حينذاك».

ـ أفترض أنها تتساءل الآن في أي فخ أوقعت نفسها.

ـ سوف تبقى معه على ما أظن.

فسألت إيدن مرتعبة: «ماذا تعني بذلك؟ هل هددت بأن تترك أبي؟».

ـ هددت فقط، في لحظة من اليأس والشعور بالمذلّة. وأنت، ما هي مشاريعك؟

أشاحت بنظرها لحظة وهي تقول: «لا يمكنني أبداً أن أعيش في منزل أبي. هذا غير وارد على الإطلاق».

تصلّب صوته فجأة: «أنت تقولين هذا الآن. لكنك قد تغيرين رأيك مع الوقت».

ضحكت إيدن وسط قلقها: «أنت رجل ذكي، وتعرف تماماً أنه من المستحيل تسوية الأمور».

ـ وأعرف تماماً أن أوين لن يسمح لابنته الضالّة بأن ترحل عنه بعد أن عثر عليها.

ردّ على تعليقها، مسمّراً عينيه عليها. كان الضوء المنعكس يضيء بشرتها، فبدت أشبه بزنبقة جميلة في ثوبها الصيفي الأبيض.

ـ لِمَ تكرهني إلى هذا الحد؟

ـ لا تكوني سخيفة! أنا لا أكرهك على الإطلاق.

ـ ولكن لا يروقك دخولي المفاجىء إلى حياتكم.

ـ ربما لأنني أتألم كثيراً.

قال ذلك رغماً عن إرادته ولكن الوقت بات متأخراً للتراجع.

ـ هل تحاول أن تزيد من شعوري بالذنب؟

ـ وهل هذا ما تشعرين به؟ أتساءل كيف استطعتِ الكذب بمثل هذه السهولة. لِمَ لم تقولي لي شيئاً؟

ـ أعرف أن ذلك بدا سيئاً جداً، لكنني لم أستطع مخالفة إرادة أبي. لِمَ تقسو عليّ هكذا؟ هل الأمر يتعلق بي وحدي أم أنك لا تثق بكل النساء؟

ـ ليس قبل أن أتعرف إليك.

بالفعل، لِمَ كان يقسو عليها؟ لم يكن يعرف. ردة فعله لم تكن منطقية. أتراه يخشى أن تؤذيه؟

- إذاً لم يخطر لك مطلقاً أن نبدأ من جديد؟

سألته ذلك بلهجة حزينة، فابتسم قائلاً: «لقد دعوتك إلى الغداء، أليس كذلك؟ وهذا يعني أنني أبذل جهداً لأكافح خيبة أملي. ربما.. توقعت الكثير من أوين وبالتالي منك».

ودّ لو يقول لها: منذ اللحظة التي رأيتك فيها شعرت أنك المرأة التي أريدها في حياتي. يا إلهي!

نظرت إليه من فوق حافة كأسها: «ما الذي عليّ أن أفعله لتتصالح؟».

- في الواقع، أحتاج لأن أتعرف إليك أكثر.

أربكها جوابه، وللحظة شعرت بإثارة كبيرة: «هل أنت جاد؟».

- تماماً.

ثم منحها ابتسامة سريعة قبل أن يضيف: «ولكن لا يمكننا أن نفعل ذلك في يوم واحد».

- هل تقصد بأن عليّ الانتقال إلى الشمال مع أبي؟

أطلق ضحكة قصيرة: «أعرف أن ذلك يبدو غريباً نظراً لموقفي السابق».

- بالأحرى لموقفك الشرس.

- لم لا نحاول أن نكون صديقين، لنرى إن كنّا ننجح في ذلك؟

كانت تعلم أنه يتعمّد مضايقتها: «قد يكون ذلك خطيراً».

- ربما. ولكن لا ضير من المحاولة.

أيًا تكن النبرة التي بدت في صوته، فقد سلبت لبّها، وأظهرت لها أن تحت برودتها ينبض قلب امرأة جامحة المشاعر.

٥ ـ هدية

بعد ستة أسابيع، وجدت إيدن نفسها في طائرة تحلق فوق مدار الجدي. تألقت أمام ناظريها المناظر الرائعة، فبدت جميلة مذهلة كأنها من عجائب الدنيا. كانت تعرف أن منزل لانغ الأثري ماريللا داونز يقع خلف تلك الجبال، وأنها قد تتمكن من رؤيته إذا حالفها الحظ.

بعد ساعة من الطيران، أعلن القبطان أنهم أصبحوا فوق بلاد القصب. فقصب السكر متوافر بكثرة في الشمال، ومن الجو بدت النباتات الخضراء الطويلة منتشرة على امتداد مئات الأميال.

كان مشهداً رائعاً، حيث امتدت قبة السماء الزرقاء فوق حقول القصب الأخضر والأرض الحمراء المذهّبة فبدت كلوحة من الفسيفساء.

وفكرت إيدن أنه يلزمها حوالى ساعة لتصل إلى منزل والدها في «بارادايز كوف». سوف تكون هذه مجرد زيارة، مدتها غير محددة. لم تكن علاقتها بديلما وديّة بأي شكل من الأشكال، وبقيت الأجواء فاترة جداً بينهما. في الواقع، كانت لقاءاتهما عابرة خلال الأسبوع الذي أمضته ديلما في بريزبان قبل أن تعود إلى ابنها. والحمد لله أنها لم تأتِ مجدداً على ذكر الطلاق. فهي تحب زوجها، رغم كل شيء.

كانت إيدن تزور والدها في المستشفى كل يوم، لكنهما لم يناقشا مسألة ديلما، إلى أن قال أوين ذات يوم، تماماً كما توقع لانغ، إنه يريد من إيدن أن تأتي معه إلى الشمال، حالما يخرج من المستشفى.

باعت إيدن المنزل وتقاسمت ثمنه مع ريمون وانتقلت إلى منزل جدها.

وكان هذا الأخير لا يزال غارقاً في حزنه على والدتها، وسوف يبقى على هذه الحال على الأرجح. لم يحاول أن يثنيها عن قرارها عندما قالت له إنها وجدت شقة مناسبة، وسوف تستأجرها مؤقتاً، وهي على الأرجح سوف تشتريها في النهاية. أما ريمون فقدم استقالته وانسحب من الشراكة ثم رحل بعيداً، ليجوب العالم.

أسرّت إيدن بكل ما يجري في حياتها إلى صديقتين مقرّبتين جداً منها، واثقة من أنهما سوف تحترمان تكتّمها وتحفظان السر إلى أن يحين وقت الكشف عن الحقيقة.

أمّا علاقتها بلانغ، فقد راحت تتطور من خلال الاتصالات الهاتفية. كانا يتكلمان معاً مرتين في الأسبوع أحياناً. بدت تلك المكالمات الهاتفية غريبة، فبقدر ما بدت هادئة في ظاهرها، كانت في الواقع مثيرة للاضطراب لكليهما.

لم تستطع إيدن أن تنكر أنها تقع أكثر فأكثر تحت تأثير سحره. فهو يثير اهتمامها ورغبتها وقلقها. وغالباً ما كانت تشعر بالدوار بعد التكلم معه. لقد باتت تخشى تلك القوة التي تجذبها إليه ومع ذلك بقيت تتحادث معه عبر الهاتف. ليس لأنها لم تحظ يوماً بالمعجبين، بل لأنها لم تحب أيّاً منهم ولم تشعر برغبة في المضيّ قدماً في علاقاتها معهم. أما لانغ فورسايت فيختلف عنهم جميعاً. لا أحد يتمتع بسحره وقوته. في الواقع كان قاسياً لامعاً كالماسة الثمينة، فوجدت إيدن ذلك مذهلاً ورهيباً في الوقت نفسه.

لقد شجعها لانغ على قبول دعوة ديلما حين اتصلت بها، للمرة الأولى، لتؤكد لها أنهم يريدونها في المنزل: «روبيرتو متحمّس جداً للقاء أخته».

أمّا إيدن، فكانت ترغب بشدة في رؤية أخيها الصغير لكنها أدركت أن ديلما اتخذت هذا القرار مُجبرةً، لإرضاء زوجها. منذ تعرفت إلى لانغ، كانت تشعر برغبة ملحة في رؤيته مع أن علاقتهما مستحيلة، فهو رجل كثير

التعقيد ولديه حياة عاطفية مختلفة عن حياتها. أمّا هي فلا تزال تعاني الحزن جرّاء موت والدتها وتحطّم جدها.

منذ اللحظة التي شعرت بها إيدن بأشعة الشمس على بشرتها، عرفت أن كل شيء تبدّل: المناظر والأصوات والروائح. كان الجوّ ساطعاً وعلى الأرجح حاراً... حاراً جداً ورطباً.

ما إن نزلت إيدن من الطائرة حتى شعرت بدمها يغلي لشدّة الحر. شعرت بالإثارة تتملكها فقد أرادت أن تكون زيارتها ناجحة وصلّت لكي يكون موقف ديلما قد لان وغدا وديًّا. ولكن، هل تبقى الغيرة معشّشة في قلب ديلما؟ وحده الزمن سوف يؤكد ذلك أو ينفيه.

رأت إيدن والدها في اللحظة التي دخلت فيها قاعة المطار. بدا رائعاً، رشيقاً ومعافىً وكانت فرحته لرؤيتها توازي فرحتها. حتى أنها لم تلحظ في البداية الصبي الوسيم الصغير المختبىء بخجل خلف ساقي والده الطويلتين. روبي! إنه أخوها الصغير. وشعرت إيدن بقلبها يخفق. لقد ورث روبي نظرة والدهما وشعره الداكن وعينيه الجميلتين. لا شك أنه سيكون طويل القامة عندما يكبر. هي نفسها كانت تفوق أمها طولاً، ولعلّ طول القامة هو الشبه الخارجي الوحيد الذي يربطها بوالدها، بالإضافة إلى بعض التصرفات.

كان شوق أوين لرؤية ابنته قوياً فركض نحوها وعانقها بقوة: «إيدن! حبيبتي. أنا مسرور جداً لرؤيتك».

تراجعت قليلاً ووقفت على رؤوس أصابعها لتطبع قبلة على خدّه: «أبي! أنا سعيدة أيضاً».

جالت عيناه عليها بسرور بالغ وهو يسألها: «كيف كانت رحلتك؟».

ـ جيدة. ومن هذا؟

سألت ذلك بنبرة لا تخلو من الغيرة، بينما كان روبي واقفاً بالقرب منهما، يحدّق إليها بعينيه الكبيرتين المفعمتين بالعاطفة: «أنا أعرف من هو. إنه أخي روبي».

وامتدت يدها لتمسك الصبي الصغير الذي بدت السعادة فجأة على وجهه وتعلق بخصر إيدن قائلاً: «أنت جميلة حقاً كما قال أبي. آمل أن تبقي معنا إلى الأبد».

شعرت إيدن بالدموع تترقرق في عينيها، لكنها ابتسمت قائلة: «أنت لطيف جداً، وأعلم أننا سنغدو صديقين. لديّ شيء لك في حقيبتي».

ـ حقاً؟ ما هو؟

ـ لا يمكنني إخبارك. إنها مفاجأة ولكنني أظنها ستعجبك.

كان أوين يبتسم لهما والحب بادٍ في تعابيره: «سأترك روبي معك لدقائق إيدن، بينما أخلّص الحقائب، ومن ثم نتطلق إلى المنزل».

ـ سأهتم بها بابا.

قال روبي ذلك بكل ثقة في النفس وأمسك يد إيدن، ثم قادها إلى صفّ المقاعد ليجلسا، وكأن رابط الدم جمعهما منذ الأزل. وعندما جلسا، قال روبي محدثاً: «أمي لم تكن تريدني أن آتي إلى هنا، لذا بدأتُ بالصراخ، وعندما جاء بابا، طلب مني أن أكفّ عن الصراخ وقال إن بإمكاني مرافقته».

شعرت إيدن بالانزعاج ولكنها سرعان ما تجاهلته، فقالت: «يسعدني ذلك روبي. لم يكن بوسعي الانتظار دقيقة أكثر لرؤيتك. أظن أنه من الرائع أن يكون لديّ أخ. ثم، أنت تشبه أبي كثيراً».

ـ الجميع يقول هذا.

اعتبر روبي وسامته أمراً مسلّماً به: «هل تنادينه أبي؟».

ـ طبعاً، إنه أبي. وأحب أن أناديه هكذا.

فكر روبي قليلاً، ثم مال إلى الأمام واضعاً مرفقيه على ركبتيه: «أظنني سأناديه هكذا أنا أيضاً. هل أريك كيف أطقطق أصابعي؟».

ـ كان ذلك رائعاً.

قالت إيدن ذلك بعد أن انتهى، ثم سألته عن المدرسة التي يرتادها. هزّ روبي رأسه ببطء وقد بدا مثل أوين تماماً: «إنها مدرسة خاصة، مدرسة «سيمور». مع أنه يسمح لنا بممارسة النشاطات والرياضة، إلا أنني أشعر بالملل هناك. يقولون إن السبب في ذلك أنني صبي موهوب».

سألته بابتسامة تشعّ دفئاً: «حقاً؟»

ـ هذا ما يقولونه لي. لقد تعلمت القراءة في سن الثالثة. أنا بارع جداً مثل با... مثل أبي. أرادني أبي أن أقصد مدرسة «سانت أنطوني» ولكن أمي لم ترغب بذلك. فأدخلتني هذه المدرسة وهي تقلّني إليها يومياً وتصطحبني منها. وإذا لم ترني على الفور تبدأ بالصراخ، إنها تصرخ كثيراً. لقد قامت ذات يوم بتوبيخ معلّمتي، ومنذ ذلك الوقت تفر السيدة سيلان هاربة كلما رأتها. أمي تظن دائماً أن أحدهم سيخطفني.

أخذت إيدن نفساً حادًّا: «يا إلهي، روبي!».

لم يخطر لها أمر كهذا، حتى عندما عرفت أن والدها رجل فاحش الثراء.

ضحك روبي: «يقول أبي إنه إذا خطفني أحدهم، فسوف يعيدني على الفور».

ثم حاول أن يقلّد صوتاً رجولياً عريضاً وهو يقول: «ذات مرة سمعت لانغ يقول لأبي إن أمي تعيش ميلودراما دائمة. وعندما غادرا المكتب، دخلت لأفتش عن معنى هذه الكلمة».

أومأت إيدن: «من المؤكد أن أمك تحبك كثيراً، ولهذا تقلق عليك».

- إنها لا تسمح لي بالذهاب إلى أي مكان، حتى حفلات الأولاد. أبي هو من يسمح لي دائماً بالذهاب. ويقول إن أمي تمنعني من أن أكون طفلاً طبيعياً.

فضّلت إيدن عدم التحدث في هذا الموضوع أكثر. وسرعان ما انضم إليهما أوين وهو يجرّ الحقائب على عربة: «عمّ تتحدثان أنتما الاثنان؟».

- لا شيء.

أجاب روبي بذلك ضاحكاً، ثم سأل: «هل يمكنني أن أناديك أبي بدلاً من بابا؟».

- طبعاً.

- سوف أناديك هكذا إذاً، مثل إيدن.

استغرقت الطريق إلى بارادايز كوف ساعة من الوقت في سيارة المرسيدس الفارهة. جلست إيدن في المقعد الخلفي إلى جانب روبي الذي أصرّ على أن تجلس بقربه لكي يمسك يدها ويدلّها على كل المناظر الجميلة. كان منظر البحر الفيروزي الأزرق والجزر الزمردية يزداد روعة وجمالاً وسحراً. وعلى جانبي الطريق، ارتفعت صفوف من الأشجار المزهرة بألوانها الليلكية والحمراء.

- انظري إيدن. يمكنك رؤية المنزل من هنا.

هتف روبي فجأة بذلك، وهو يميل نحوها ويشير بإصبعه: «إنه ذلك البيت الأبيض الكبير عند قمة الهضبة، يقول لانغ إنه يشبه طائر مالك الحزين وهو يرتاح. لانغ عرّابي. أتعرفين؟»

ثم صرخ روبي فجأة: «أوقف السيارة أبي. لنخرج قليلاً».

- حسناً، بنيّ.

أوقف أوين السيارة إلى جانب الطريق المعشوشب. بقيت إيدن تحدق حولها مدة طويلة، ممسكة بيد أخيها الصغير.

- كم هذا رائع!

ألقى أوين عليها نظرة فخورة وهو يفكر في أن هذا المكان يناسبها. بدت أشبه بزهرة في غابة ممطرة... في مكانها الطبيعي.

- لقد منحت المهندس حرية التصرف المطلقة. إنه رجل ذكي، عرّفني إليه لانغ. وكنت قد اشتريت قطعة الأرض هذه منذ سنوات. يومها، لم يظن أحد أن منطقة الشمال ستزدهر بهذا الشكل. أردت أن يبدو المنزل رائعاً ومطلاً على البحر.

قالت إيدن والدموع تملأ عينيها: «إنه جميل».

وعندما نظر روبي إلى عينيها، قال مُطَمْئِناً: «لن يكون عليك أن ترحلي أبداً. أبي هنا. أنا هنا وعمّي لانغ هنا أيضاً. هذا منزلنا».

قال ذلك بفرح شديد. ولاحظت إيدن أن لا مكان لأمه في عالمه الخاص.

* * *

فكرت إيدن في أن هذا المنزل هو الأجمل والأفخم في المنطقة. مع أنها رأت منازل كثيرة جميلة في طريقها إلى هنا وكلّها تطل على البحر بألوانه الرائعة.

قال أوين: «تبلغ مساحة أرضنا حوالى ثلاثين ألف متر مربع والجهة الأمامية من المنزل تطل على البحر».

ووعدها روبي والسعادة تغمره: «يمكننا أن نلعب معاً على الشاطىء.

لقد أنهيت مدرستي. ولكن بعضاً من أصدقائي سيذهبون لأسبوع إضافي لأنهم في مدرسة أخرى».

كان المنزل قائماً خلف سياج حديدي وبوابات تنفتح على مناظر جميلة متوهّجة بالألوان وأشجار النخيل الفارعة. ولاحظت إيدن أن المنزل متوسطيّ الطراز.

لاقتهم ديلما في الردهة الرخامية وقد بدت ساحرة في ثوبها الصيفي الجميل وشعرها الكثيف الملتفّ حول وجهها وبشرتها العسلية اللون:

ـ إيدن، تسعدني رؤيتك. أهلاً بك في منزلنا.

أجابت إيدن وقد شعرت أن ديلما تفعل ما بوسعها لتبرهن أن المنزل منزلها هي: «لطف منك أن تستقبليني، ديلما».

ـ لطف! لا مطلقاً. هذا رائع حقاً. روبيرتو متحمّس جداً لرؤيتك.

ووجهت ديلما نظرات جافة إلى ابنها الذي كان يمسك بيد إيدن وكأنه يعرفها طيلة حياته. أما روبي فقال لأمه: «إيدن أحضرت لي شيئاً في حقيبتها. واحزري ماذا؟ سوف أنادي بابا أبي كما تفعل إيدن».

اقتربت ديلما من ابنها وقربته نحوها وهي تقول له: «أظن أن بإمكانك أن تسميه بابا لبعض الوقت».

ثم نظرت إلى إيدن: «أظن أنك تودين رؤية غرفتك إيدن. في الواقع إنه جناح، وسوف ترتاحين جداً خلال إقامتك هنا».

ـ سأرسل حقائبك إلى غرفتك.

قال أوين ذلك ثم استدار نحو زوجته: «هل عرفت شيئاً عن لانغ؟».

ـ لقد اتصل هاتفياً ودعوته على العشاء، كما قلت لي. علينا لاحقاً أن نقيم حفلة على شرف إيدن.

ـ سيكون ذلك رائعاً!

هتف روبي متحمساً وهو يحاول التخلص من قبضة أمه: «لن أذهب إلى الفراش الآن».

ـ آه بلى، يا صغيري. تذكر ما قلته لك. عليك أن تحسن التصرّف أثناء وجود إيدن.

فأجاب أوين زوجته: «لقد أحسن روبي التصرف، ديلما».

ثم نظر إلى ابنته: «عندما تصبحين جاهزة إيدن، ستتناول القهوة أو العصير على الشرفة ومن ثم أعرّفك إلى أرجاء المنزل».

ـ رائع! هل ستأتي روبي؟

ـ طبعاً!

وأسرع روبي يقف إلى جانبها: «لن أدعك ترحلين مجدداً إلى بريزبان. عليك أن تبقي هنا».

ابتسمت إيدن وقد أحسّت أنه ألطف أخ كان بإمكانها أن تتمناه: «شكراً روبي».

أمّا ديلما، فقد بذلت ما بوسعها لتسترخي وتبدو سعيدة. لقد ساورها الخوف طيلة حياتها الزوجية من هجر زوجها لها في يوم ما. مع أن أوين لم يظهر لها يوماً أي رغبة في تركها ولكنها كانت تعرف أنه لا يحبها، وهذا ما أحزنها. ولكنه يحب روبي وهذه الفتاة. ولِمَ لا؟ فهما ولداه وقد أحبا بعضهما على الفور. عرفت ديلما أن أعصابها ستبقى متوترة طالما تلك الفتاة هنا. ورغم أنها دعت ابنة أوين للبقاء معهم، إلاّ أنها كانت تنتظر رحيلها بفارغ الصبر.

* * *

www.elromancia.com

لم تفاجأ إيدن بمشاعر ديلما، ولكنها لم تشأ أن تفسد زيارتها بالتفكير كثيراً في هذا الموضوع.

ترددت تلك الليلة بين أن تترك شعرها مسدلاً أو أن ترفعه. كانت أمسية جميلة ولكنها أكثر حراً ورطوبة مما اعتادت عليه. ومع أن المنزل كان مُكيفاً، إلاّ أنها تركت نافذة غرفتها مشرّعة لتستمتع بمشاهدة القمر النحاسي اللون وتتنشّق العطور الشذية المنبعثة من الحديقة، مع كل نفحة نسيم.

في النهاية، رفعت شعرها بعد أن تركت بضع خصلات منه تتدلّى حول وجهها وعنقها.

سيكون العشاء في الساعة الثامنة، وهكذا يكون أمام لانغ متّسع من الوقت ليصل، فقد عاد اليوم من رحلة إلى فيجي حيث كانت الشركة تتفاوض لبناء مجمّع سياحي فخم. مجرد التفكير في رؤيته مجدداً جعلها ترتعش ترقباً.

لقد استغرق القدر زمناً طويلاً ليبتسم لها. ولن تسمح لنفسها بأن تقع في حب رجلٍ يمكن أن يحطّم قلبها بسهولة. وهذه هي فكرتها عن لانغ: رجل خطير يحطّم القلوب ولا يرحم. أولم يظن أن هدفها هو تدمير زواج أوين؟ وقد اتضح لها أن وفاءه هو لصديقة العمر ديلما، مع أنها واثقة أن لا سوء في علاقتهما، ولكنه لم يبدِ أي تعاطف معها هي.

وفكرت في سرّها: احذري إيدن. هذا الرجل يمكن أن يجعل حياتك جحيماً أو نعيماً.

وقفت أمام المرآة الطويلة تتفحص صورتها فيها. بدا لها واضحاً أن ديلما امرأة أنيقة تحب الملابس وتجيد انتقاءها. أمّا الثوب الذي ارتدته هي والذي اشترته مؤخراً، فكان بسيطاً جداً، لكن تمازج قماش الشيفون الأزرق والحرير الفيروزي أضفى عليه جمالاً خارقاً.

قاربت الساعة السابعة والنصف وكان روبي قد أوى إلى فراشه رغم حماسه المفرط وسعادته العارمة. لقد أحبّته إيدن كثيراً. فعندما رافق أخته ووالده في جولتهما في المنزل والأراضي المجاورة راح يقفز ويجري ويقوم بالاستعراضات إلى حدّ جعله يشعر بالإرهاق.

انتعلت حذاء مناسباً لثوبها وألقت نظرة أخيرة في أرجاء غرفة الضيوف الجميلة. كانت جناحاً، كما قالت لها ديلما. فالمكان فسيح ومريح ومزين بالأزرق والأصفر والأبيض.

بدا الطابق السفلي هادئاً والصوت الوحيد الذي يسمع في المكان، معزوفة «عطر الليل» التي كانت أنغامها تملأ القاعة.

كانت إيدن قد تعرّفت إلى أحد الخدم وزوجته. لم تكن ديلما على الأرجح قد انتهت من ارتداء ثيابها، رغم أنهما اتفقتا على اللقاء في المكتبة لشرب كوب من العصير قبل العشاء.

اجتازت إيدن غرفة الجلوس، متجهة إلى المكتبة وأخذت في طريقها تتأمل اللوحات والتحف الأثرية الجميلة والكتبات الرائعة الملائمة. وفكرت في أن ديلما ومصمم الديكور الداخلي قد أحسنا صنعاً.

ابتسمت إيدن وتابعت طريقها إلى غرفة المكتبة. آخر ما كانت تتوقعه هو أن تجد نفسها وجهاً لوجه مع الرجل الذي سيطر مؤخراً على أفكارها.

بينما كانت هي تدخل الغرفة، خرج هو عاقد الحاجبين. فمدّت إيدن يدها في حركة دفاعية إزاء تلك الهالة الرجولية المنبعثة منه.

ـ إيدن!

استيقظ لانغ من الصدمة أولاً وراحت عيناه الرماديتان تتفحصانها، فشعرت بالارتجاف والإثارة تتملكانها حتى أعمق أعماقها. ظلت مسمّرة في

مكانها للحظات، ما اضطرها إلى تقديم تفسير له: «لانغ! لقد أخفتني».

وارتفعت يدها إلى صدرها كأنها تهدىء دقات قلبها المتسارعة.

ـ وأنت أيضاً.

أمضت بضع ثوانٍ وهي تحاول استعادة رباطة جأشها لكن جهودها باءت بالفشل عندما انحنى ليعانقها: «أخيراً، أنتِ هنا!».

تكلم بخفة وترحيب، لكن كلماته أرسلت رجفة غريبة في جسمها. وأدركت إيدن أن وجهها احمرّ، فقد شعرت بالحرارة تغزو خدّيها. وزادت تلك الموسيقى الرومنسية الأمور سوءاً.

ـ أنا سعيدة هنا. كل شيء جميل ومذهل. وفرحتي الكبرى كانت بلقاء روبي.

ضحك لانغ: «إنه صبي رائع. ظننتني سأراه يركض في المنزل».

ابتسمت هي أيضاً: «تعب كثيراً وهو يجول هنا وهناك. لقد أراني أبي المكان وأتى روبي معه».

سكتت قليلاً ثم سألته: «هل كنت خارجاً إلى مكان ما؟».

ـ في الواقع، لقد أحضرت هدية صغيرة لك، كعربون سلام بيننا. ظننت أنني أحضرتها، لكن يبدو أنها ما زالت في السيارة.

وراح يفتش في جيب سترته.

بدت إيدن مذهولة: «حقاً».

ـ لا داعي للدهشة. لم أكن أحلم أبداً عندما فكرت في أنها ستناسبك تماماً.

ـ لقد أثرت فضولي.

ـ رافقيني إلى السيارة.

أمسك بيدها وجرها معه إلى الخارج باندفاع قوي. دفء أصابعه حول

أصابعها بعث في كل عصب من أعصابها أمواجاً من الأحاسيس. وبعد قليل قالت لاهثة: «القمر مذهل الليلة».

ولم يكن ذلك فقط بسبب محاولتها مجاراته في السير. توقف لانغ قليلاً وحدّق إليها: «أنا آسف. إنني أسرع كثيراً».

ـ قليلاً فقط.

كان قلبها يخفق بشدّة، ظنّت معها أنه سيطير من مكانه. وعلق لانغ على كلامها وهو يرفع ناظريه إلى السماء: «نعم، القمر رائع حقاً، كأنه طبق من النحاس».

ولم يكن قد شعر من قبل بمثل تلك الأحاسيس التي يشعر بها الآن.

وصلا إلى سيارة الجاغوار، فأخرج منها لانغ علبة صغيرة، وقال برقّة:

ـ إنها عربون بداية جديدة. أهلاً بك في الجنة، إيدن.

للمرة الأولى، لم تستشفّ في صوته أي نبرة سخرية.

ـ هل أفتحها؟

ـ طبعاً. هنا والآن.

فتحت الورقة الذهبية الخارجية، كاشفةً عن علبة مجوهرات مخملية.

راح لانغ يحثها: «هيا، أسرعي».

وتساءل لما لا يكف عن التفكير في هذه الفتاة الرقيقة والمثيرة للسخط في الوقت نفسه. فهو ليس من ذلك النوع من الرجال الذين تتابهم الهواجس بسبب امرأة.

ـ هذا ما أحاول القيام به.

ـ لنقترب أكثر من الضوء.

وقادها بعيداً عن ظلال أشجار النخيل إلى الممر.

كانت السماء مرصّعةً بملايين النجوم المتلألئة والجو عابقاً بشذا

www.elromancia.com

الأزهار، فاجتاحت الإثارة كل جزء من كيانها. مشت معه وهي تشعر بالنشوة والمشاعر الجياشة.

وجدت داخل العلبة عقداً جميلاً حديث التصميم، من الفضّة والأحجار الكريمة. بدت إيدن مصعوقة أمام روعة ما رأت عيناها: «لانغ، إنه رائع! لم أفعل شيئاً لأستحق هذا!».

ـ حتى الآن لا ولكنك ستفعلين.

قال ذلك ضاحكاً، ثم أضاف: «عيناك بلون هذه الحجارة. عندما كنت صغيراً، كان أبي يصطحبني للتنقيب عن الأحجار الكريمة. لقد وجدتها في مكان يُدعى أناكي في جنوب كوينز لاند. أتعرفينه؟».

ـ طبعاً. إنه شهير ولكنني لم أقصده يوماً. لم يفعل أحد من عائلتي شيئاً مثيراً مثل التنقيب عن الأحجار الكريمة.

ـ ما زال بإمكانك أن تفعلي هذا.

قال لها ذلك وكأنه يخطط لرحلة من هذا النوع في المستقبل القريب.

ـ الحجارة التي اخترتها هي الياقوت الأزرق المائل إلى البنفسجي وهي تشبه لون عينيك. لدي حجارة غيرها خضراء وصفراء وزهرية. سأريك إياها يوماً ما. ولكن هذه هي الأجمل والأنقى.

ثم أضاف بنفاد صبر: «أعطني هذه الورقة».

وأخذ منها الورقة الذهبية التي كانت تلفّ الهدية ورماها داخل السيارة. فقالت وقد بدت مقطوعة الأنفاس: «لا ترمها، أريد أن أحتفظ بها».

لقد عاد هذا الرجل إلى حياتها منذ دقيقتين وها هو يستحوذ على كيانها بأسره.

عاد إليها قائلاً: «ارتديه. أريد رؤيته عليك. أتعلمين أنك أسديتني خدمة بارتدائك هذا الثوب؟».

أدار ظهرها ناحيته بسرعة، لئلا ترى النار التي اشتعلت في عينيه. كان شعرها مرفوعاً، ما سهّل عليه وضع العقد حول عنقها، ثم أدارها مجدداً لتواجهه. قام بذلك برغبة قوية كادت تفقده السيطرة على النفس. أراد أن يفجّر مشاعره تلك فيعانقها بشدة علّه يهدىء من تلك النيران التي تستعر في داخله. لكنه خشي إن قام بذلك أن يزيد الأمور تعقيداً بينهما، وهما بالكاد تصافيا.

تباً! لِمَ يشعر بكل هذا الشغف نحو ابنة أوين بالذات؟ واستطاع أن يشعر بجمودها وكأن رغباته شفافة وظاهرة. أزاح يديه، وحاول أن يتكلم بصوت منخفض وعادي: «حان الوقت لنعود إلى المنزل إيدن. لا بد أنهم يتساءلون عن مكان وجودنا».

ثم أمسك ذراعها، وسار بهدوء وهو يتنفس بعمق علّه يتخلص من تلك المشاعر التي اجتاحته.

ـ لا أعرف كيف أشكرك يا لانغ. هذا كثير حقاً.

ـ أبداً. أنا سعيد لأن أحجار الياقوت استُعملت لهذه الغاية.

ـ شكراً.

عندما دخلا المنزل، اتجهت إيدن إلى المرآة الطويلة القائمة في الردهة، لكي تلقي نظرة على العقد وتتأمله. بدا لها أكثر جمالاً وتألقاً تحت ضوء الثريا، وقد أظهرت أحجار الياقوت الثمانية لون عينيها الآسرتين.

لاحت لها كتفاه العريضتان من خلفها، وبدت بشرته البرونزية التي لوّحتها الشمس داكنة بالمقارنة مع بياض بشرتها، ولا بد أنه كان يفكر في الأمر نفسه، لأنه قال لها: «سيكون عليك أن تعتمري قبعة في كل مرة تخرجين وتتعرضين للشمس».

ـ لا تقلق. أنا وأمي نتمتع بالبشرة نفسها وهي لا تسمرّ ولا تحترق.

www.elromancia.com

ـ إنها نعمة أن تحظي ببشرة نقية كزهرة الكاميليا.

كاد يقول «بشرة مثيرة» ولكنه لم يفعل. سيكون من الوقاحة أن يتورط مع ابنة أوين، ونظراً للمشاعر التي تتملكه، قد تكون النتائج وخيمة والضرر كبيراً.

أثناء عودتهما إلى المكتبة، ظل لانغ صامتاً وهي كذلك. فقد شعر كلاهما بأن الجو بينهما مشحون. حتى مع «العائلة» يجب أن تبقى حذرة. فعلاقتها بديلما لن تكون وثيقة أبداً ولكنهما كانتا تبذلان جهدهما.

كان أوين وديلما في انتظارهما، وقد ارتدت ديلما ثوباً أصفر رائعاً وجلست على كرسيها ترتشف كوباً من العصير، في حين كان أوين منهمكاً في وضع قطع الثلج في كأسه. نظر كلاهما نحوهما مبتسمين عندما دخلا المكتبة.

ـ لقد جئتما في الوقت المناسب.

قال أوين ذلك بعينين تنضحان اهتماماً وتسلية: «لقد رأيتكما تختفيان في الحديقة».

ـ أنت بارع جداً يا أوين. لا يفوتك شيء. في الواقع كنت أقدّم هدية صغيرة لإيدن.

ـ صغيرة!

علّقت إيدن وهي تتجه نحو والدها لتقبّله: «أهداني هذا العقد الرائع».

نهضت ديلما فجأة وقد انتابها الفضول وقالت بذهول: «يا إلهي!».

ـ كانت أحجار الياقوت هذه تنتظر شخصاً له مثل لون عيني إيدن.

ـ لقد نقّب لانغ عنها عندما كان صغيراً.

قالت إيدن ذلك ثم استدارت ناحية الضوء لكي يتمكن والدها وديلما من التمتع بجمال تلك الأحجار الكريمة.

ـ ولكن هذا العقد مذهل حقاً!

بدا ذهول ديلما هائلاً وهي تعبّر للمرة الثانية عن جمال ذلك العقد، فأقرّ أوين: «كان عليّ أن أفكر في شيء مماثل».

مازحته إيدن قائلة: «ما زال أمامك الوقت لتعوّض، أبي».

حدّق أوين إلى العقد، معجباً: «هذا لطف منك لانغ. وهو يلائمك حبيبتي».

فأجاب لانغ: «يسعدني ذلك. تلك الأحجار كانت ستبقى فترة طويلة في الخزانة».

سألته ديلما بنبرة عابثة ساخرة: «ألم يكن بإمكانك أن تهديها للارا؟ صديقتنا لارا تتمتع بعينين زرقاوين جميلتين».

في الواقع كانت ديلما صديقة للارا، وهي إحدى صديقات لانغ السابقات الكثيرات.

ـ لم ألحظ ذلك.

جاء جواب لانغ مختصراً، ثم تابع مبدلاً الحديث: «هل هذا العصير لذيذ، أوين؟».

ضحك أوين والتمعت عيناه الداكنتان وهو يقول: «إنه ممتاز وهو يحتوي على الثلج والحامض».

ـ رائع. أشعر أن ضغط اليوم كله يتبدد.

لكنه استطاع أن يلحظ تخبّط ديلما بمشاعرها فهي من النوع المتملّك. وهو يعرف أنها تعتبره صديقها. أما إيدن فهي جديدة على الساحة، دخيلة. ولكنه أمل أن يتمكنوا من الانسجام مع بعضهم البعض في أقرب وقت ممكن.

www.elromancia.com

٦ ـ الأخ الأكبر

مرّت الأيام تلو الأيام وكان هناك أمور كثيرة للاستكشاف. فأمضت إيدن الأسابيع الأولى من إقامتها بأفضل ما يمكن، إذ كانت تحظى برفقة والدها المحبّ وأخيها الظريف روبي. وحتى لو كانت ديلما لا ترغب بوجودها، فإنها على الأقل، أجادت إخفاء الأمر.

في ذلك النهار المشرق، قرر أوين أن يصطحبها لزيارة آخر مشروع لكارتر وفورسايت وهو عبارة عن نادٍ رياضي قائم في منطقة طبيعية جميلة تبعد ثلاثين ميلاً تقريباً من الساحل.

قال أوين وهما يسلكان الطريق الساحلي: «هذا مشروع لانغ المدلّل أساس المشروع هو ملعب الغولف. لقد استخدمنا مصمّماً شهيراً، وكاد الملعب ينتهي. سيتضمن المشروع أيضاً منازل فخمة وفيلات، بيع معظمها على الخريطة. لقد وكلت أمر هذا المشروع للانغ. إنه ممتاز في مثل هذه الأمور وهو أفضل مني بكثير في ما يتعلق بالتعامل مع الناس. فهو يعرف الجميع والجميع يعرفه، فضلاً عن أنه من عائلة عريقة».

ـ قال لي إنه سيصطحبني في رحلته التالية إلى ماريللا داونز.

ـ حقاً! سوف تستمتعين كثيراً.

وبدا أوين سعيداً لمبادرة لانغ هذه: «والدته امرأة رائعة. سوف تحبين جورجيا وزوجها أيضاً. لقد عمل لانغ فوق طاقته ليستعيد المزرعة. عندما أفكر في الأمر، أرى أن لانغ لا يحظى بالكثير من الراحة أو حتى بحياة خاصة. إنه فقط في الثانية والثلاثين من العمر. عندما التقيته للمرة الأولى،

كان مستغرقاً في العمل على إعادة عائلته إلى المكان الذي تنتمي إليه. ولا سيما والدته، فهو يعشقها».

قالت إيدن بهدوء: «غريب أنه لم يتزوج أو يخطب. فأي فتاة تتمناه».

ـ أنت محقة!

ورمقها بنظرة جانبية طويلة: «الشابات هنا يعرفن هذا. وهو ليس راهباً».

ـ ماذا عن لارا تلك، التي لا تتوقف ديلما عن الكلام عنها؟

ـ مجرد كلام. ديلما ولارا تتفقان جداً فهما تعملان في المجال الخيري. والد لارا رجل ثري، يملك مزرعة لتربية الأبقار، وهي ابنته الوحيدة.

سألته إيدن وهي تنظر بعيداً: «كيف يبدو شكلها؟».

ـ لا مجال للمقارنة معك، عزيزتي.

ـ أنت متحيّز.

ـ لا. لارا امرأة جذابة وواثقة من نفسها. ولكنها متكبّرة ومتفاخرة على عكس لانغ.

ـ وهل كان على علاقة بها؟

رمق أوين ابنته بنظرة متفحصة: «تبدين مهتمة جداً، عزيزتي».

فاحمرّ وجه إيدن: «طبعاً أنا مهتمة. لانغ شريكك».

ـ هل يعجبك؟

بدا واضحاً من سؤال أوين أنه سعيد للفكرة.

ـ يبدو أن ذلك يروقك.

ـ طبعاً. أنا أحترم لانغ كثيراً. لقد حقق ما لم أتمكن أنا من تحقيقه عندما كنت في مثل سنه.

سارعت إيدن تلمس ذراع والدها: «لا تكن قاسياً على نفسك أبي. أنت حققت الكثير، وها نحن قد التقينا وأنا سعيدة بذلك».

أشرق وجه أوين: «لا أريدك أن ترحلي أبداً. أنت تعرفين ذلك».

أجابت إيدن برقة: «لا أظن أن الأمر سينجح، أبي».

ـ ديلما هي المشكلة. أليس كذلك؟

أجفلت إيدن لقساوة لهجته: «لا. لا تفكر هكذا. ديلما لطيفة جداً معي، وغداً ستقيم حفلة على شرفي. لقد بذلت ما في وسعها لتنجح».

ـ ديلما بارعة في مثل هذه الأمور. لكنها ليست بارعة في التفهم. لن أحتمل أن تطردك.

ـ أنت تبالغ في ردّ فعلك أبي. عليّ العودة إلى عملي عاجلاً أم آجلاً.

ـ لكن، حبيبتي، إذا كانت هذه هي المشكلة، يمكنني بدءاً من صباح الغد أن أسلّمك وظيفة في إحدى أهم شركاتنا القانونية. وإذا كنت تريدين مكتباً خاصًا، فيمكنني أن أؤمنه لك أو حتى أن أبنيه. سأفعل كل ما تريدين.

ـ دعني أفكر في الأمر، أبي.

ـ طبعاً حبيبتي ولكن تذكري أنني أريد أن أعوّض عليك كل تلك السنوات الضائعة.

كانت إيدن المحبّة للطبيعة، سعيدة في هذا المحيط من النبات والأشجار الذي يضفي على المناطق الاستوائية نكهة مميزة. وبعد حوالى عشرين دقيقة، دخلا النادي الرياضي حيث بدا اللون الأخضر طاغياً. بدا المكان مذهلاً بمناظره الخلاّبة وضخامته ومحاذاته للبحر وبملاعبه الشاسعة على امتداد النظر.

ركن أوين السيارة خارج النادي وسأل أحد العمّال عن السيد فورسايت، فأشار الرجل إلى داخل النادي. عندئذٍ تأبط أوين ذراع ابنته: «هيا بنا حبيبتي. لم آتِ إلى هنا طيلة فترة نقاهتي. والآن، أرى أن الأمور تجري على قدم وساق».

بدت إيدن مذهولة بما رأت من جمال وأشجار مزهرة أحاطت بالمبنى المؤلف من طبقتين.

رافقت والدها إلى الداخل، وراحت تتأمل الأرضية الخشبية المصقولة والأدراج اللولبية. كانا قد اجتازا نصف الطريق عندما ظهر أمامهما لانغ برفقة رجل ملفت للنظر، متوسطي الملامح. كان الرجل يحمل رزمة من الملفات وكان صوته مسموعاً وهو يتكلم مع لانغ. كلاهما كان يتكلم اللغة الإيطالية الموسيقية الوقع. ولكنهما عادا يتكلمان الإنكليزية حالما رأياهما.

ـ أوين، صديقي. مرحباً. تسعدني رؤيتك.

نزل لانغ بسرعة وعيناه تلمعان: «تبدو أفضل بكثير من آخر مرة رأيتك فيها. إنك تبدو معافىً وسعيداً».

ـ إذا كنت كذلك فبفضل هذه الشابة.

قال أوين ذلك وهو يستدير نحو إيدن بحب وفخر جليّين: «إيدن، أعرّفك إلى صديقي ومهندس المشروع «برونو كانتوري». برونو هذه ابنتي الجميلة إيدن التي كلمتك عنها. لقد عشنا مفترقين طيلة حياتنا ولكننا لن نفترق أبداً بعد اليوم».

رمقها برونو بنظرة إعجاب قائلاً بالإيطالية: «ذات العينين الآسرتين».

وانحنى يقبّل يدها: «على المرء أن يحتفظ بهذه اللحظات الرائعة، فالحياة قد تكون أحياناً قاسية. يسعدني لقاؤك إيدن. أنا وزوجتي لن نفوّت أبداً حفلة الغد المقامة على شرفك».

ـ يسرّني حضوركما.

ثم راحت تتأمل المكان بإعجاب: «هذا النادي جميل جداً».

فتدخل لانغ قائلاً: «برونو من أبرع المهندسين في هذا الجزء من العالم».

ابتسمت إيدن وهي تقول: «لاحظت ذلك. يعجبني ما أنجزته سيد كانتوري. تصميمك يجسّد الطابع الاستوائي بامتياز».

بدا المهندس مسروراً بالإطراء ولكنه قال: «نادني برونو. لا أحتمل أن تناديني شابة مثلك «سيد»».

فأجابت إيدن بتعبير ساحر: «حسناً برونو».

ثم قال أوين: «إذا كان لديك بضع دقائق برونو، أودّ التحدث إليك. لانغ يطلعني على كل المستجدات ولكنني أودّ أن أصغي إلى ما لديك لتقوله. يبدو كل شيء متقدماً بالنسبة إلى برنامج العمل».

ـ يجب أن ننجز الجزء الأكبر من العمل قبل موسم الأمطار.

عندئذٍ تدخل لانغ مقترحاً: «سآخذ إيدن في جولة فيما أنتما تتكلمان».

وابتسم أوين لشريكه من فوق كتفه: «فكرة رائعة».

سأل لانغ إيدن برقة وابتسامة لطيفة: «هل نبدأ من الخارج؟».

ـ بكل سرور.

قالت إيدن ذلك ثم أحنت رأسها قليلاً: «هل ستكون هنا عند عودتنا برونو؟».

ـ لا أظن ذلك للأسف، ولكننا نتطلع شوقاً إلى حفلة الغد.

ـ وأنا كذلك. إلى اللقاء.

كانا قد أصبحا في الخارج تحت أشعة الشمس الدافئة عندما سأل لانغ:

ـ أين قبعتك؟.

فنظرت إليه بتهكّم ظريف: «مضى وقت طويل لم يوبّخني فيه أحد».

ـ أحاول فقط حماية بشرتك الجميلة. هل اشتريت واحدة؟

ـ نعم، فآخر ما أريده هو مضايقتك.

فمنحها ابتسامة فيها الكثير من التسلية: «حقاً؟».

وصلا إلى سيارة أوين، ففتحت إيدن الباب لتأخذ قبعة ذات حافة عريضة.

ـ اعتمريها.

ـ هل قررت أن تلعب دور الأخ الأكبر؟

سألته ذلك وهي تضع القبعة على رأسها. فنظر إليها بعينين فضيتين لامعتين تتفحصانها بإمعان: «هذا ما أسميه قبعة جميلة. على النساء أن يعتمرن القبعات الكبيرة الرومنسية. تبدين وكأنك خارجة للتو من إحدى اللوحات الزيتية».

وتوترت ابتسامته، فتَحت حافة قبعتها المزينة بالورود الزهرية التمعت عيناها بلون ناري أزرق ليلكي. كان شعرها منسدلاً على كتفيها، تماماً كما يحبّه. ولو كان يجيد لغة الحب بدلاً من الاختباء خلف دفاعات حصينة مُحكَمة، لقال لها إن صورتها لم تفارق خياله منذ اللحظة التي التقيا فيها. ولكن هذا جنون.

ـ لم لا نستقلّ عربة الغولف؟

تبعته إيدن، وقد شعرت بشيء من الخوف. إنها تقع في حب هذا الرجل! ولعلّها ستلتقي في الحفلة ببعض صديقاته السابقات. فهي واثقة من أن ديلما دعت صديقتها لارا التي تعتبرها امرأة لا عيب فيها...

ـ كيف تجري الأمور مع ديلما؟

سألها لانغ وكأنه يقرأ أفكارها، فعادت بسرعة إلى الواقع: «بخير. ديلما تبذل كل جهدها لتنجح حفلتي. وأنا أقدّر لها هذا».

ـ ديلما خبيرة في مثل هذه الأمور. ولكنني أسألك عن الأمور الشخصية.

ـ ماذا تريدني أن أقول لانغ؟ أعرف أن ديلما صديقتك.

ـ وأنت لا؟

ـ لكنني ابنة أوين.

ـ أتعرفين؟ لقد نجحت في إسعاده. كان رجلاً ناجحاً وبارعاً ولكن الحزن كان يرافقه دوماً. أمّا الآن فقد تبدد حزنه كليًا.

ـ وحزني تبدد أيضاً. كنت طيلة حياتي أتوق إلى أب حقيقي. كم هذا غريب!

ـ لكنك الآن وقد وجدته، لا تنوين البقاء معه. وهذا ما يريده من كل قلبه.

شعرت بالأسف يغمرها: «قلت لأبي إن هذا لن ينجح».

ـ آمل ألا يكون لديلما علاقة بذلك. أهذا ما تلمحين إليه؟

ـ بالطبع لا.

ورمقته بنظرة غاضبة وقد احمرّ وجهها العاجي: «لِمَ تقول هذا؟ مهلاً لحظة. طبعاً، فأنت لا تثق بي مطلقاً».

استدار نحوها لكي يواجهها: «لا يمكنني أن أوافقك الرأي إيدن. كل ما في الأمر أن شعوراً فظيعاً ينتابني بأن أوين سوف يفضلك دائماً على ديلما».

كان ذلك شعورها أيضاً، ما دفعها إلى الإفراط في ردّ فعلها: «أرجوك لا تكن سخيفاً. أبي لن يفعل شيئاً مماثلاً. سيكون ذلك قاسياً منه».

ـ هل أنت واثقة؟

ـ آمل ألاّ يُقدم أبداً على شيء كهذا. الزواج سر مقدس ولقد رأيت حياة الكثيرين تتحطم عندما يجرّد هذا السر من قدسيته.

ـ إذاً أنت إلى جانب ديلما؟

ـ بالطبع. لقد مرت بأوقات عصيبة. وأنا كامرأة أشعر معها.

ـ أنت امرأة مذهلة جداً.

وتنهد وكأن هذا الأمر وحده يشكّل عقبة يستحيل تخطيها.

ـ ليتك تتحلى ببعض اللطف.

قالت ذلك واستدارت ناحية البحر الأزرق.

ـ لماذا؟ لتقيمي علاقة غرامية معي؟

ارتفع ضغط دمها، فانفجرت به: «أخشى أنني لا أقيم علاقات غرامية».

ـ لا بد أن تفعلي ذلك يوماً ما.

ـ وهل تظن أنني بحاجة ماسة للحنان؟

أشبع عينيه من جمالها وعطرها الطبيعي فيما نبضات قلبه تتسارع: «إذا كانت هذه حالك، فإن ذلك لا يبدو عليك. لا يبدو عليك سوى البراءة وتلك المسافة التي تضعينها بينك وبين الآخرين وكأنك تقولين: النظر مباح أمّا اللمس فممنوع».

كان الهواء حولهما مشبعاً بالعطور وبرائحة البحر.

ـ لقد عشت حياتي كامرأة عاملة ناجحة وكل شيء فيها كان طبيعياً.

ـ إذاً فقد أقمت علاقات غرامية.

أجابته من دون أن تنظر إليه: «لا أجيب عادة عن أسئلة كهذه».

ـ لكننا أصبحنا على درجة لا بأس بها من التقارب.

ـ أظن ذلك.

مرّت اللحظات مشحونة وبدا كلاهما غير راغب في متابعة هذا الحديث، إلى أن قال لانغ فجأة: «لنخرج ونتمشّ قليلاً».

ـ حسناً.

في تلك المرحلة، كان أفضل ما يمكنها القيام به هو ترك مسافة بينهما. فهي مشوشة بما يكفي الآن ووجودها قربه يضعف دفاعاتها. لذا، ما إن توقفت العربة حتى تسللت خارجة منها. كان الطقس حاراً جداً والمنطقة الخضراء حولهما تسبح في أشعة الشمس الذهبية. كانت إيدن ترتدي فستاناً

صيفياً من القطن الزهري اللون، ومع ذلك شعرت بقطرات العرق تتصبب على صدغيها.

ـ لِمَ العجلة؟ عليك أن تتعلمي ألاّ تتحركي بسرعة في الحرّ.

ـ أنا واثقة من أنني سأعتاد على ذلك.

أرادت أن تبعده عنها وأن تقربه في الوقت نفسه: «في النهاية بريزبان منطقة شبه استوائية».

انحنى يتفحص وجهها من تحت حافة قبعتها: «تبدين مستاءة».

قالت وقد جفّ حلقها: «أنت لست شخصاً مريحاً لانغ».

أجابها بشيء من اللامبالاة: «رأيك هذا مخالف لرأي معظم الناس. عليّ أن أقرّ بأن لدينا بعض المشاكل».

ـ يذهلني أن تعترف بأن لديك أي مشكلة. فأنت متغطرس وعدائي جداً.

جاهدت لتحافظ على هدوئها وهي تقول ذلك لكن معركتها بدت خاسرة في هذا الحر وذلك التوتر.

ـ مهلاً لحظة.

وامتدت يده القوية لتمسك بكتفها الناعمة: «وهل ستقولين لي بعد ذلك إنك تكرهينني؟».

ـ لن يكون ذلك صعباً.

ولن يكون صعباً أن تقع في حبّه.

رفع يده عن كتفها بهدوء: «أظن أن لديك أسباباً كثيرة لكي تجديني... بغيضاً. أظن أن سبب ذلك هو لقاؤنا الأول. أنا آسف حقاً لأنني أسأت الحكم عليك إيدن، ولكنني وجدت تكتّمك أمراً لا يُحتمل».

شعرت بطعنة ألم انعكست في عينيها: «ولكنك عرفت السبب».

ـ وأنا مجبر على تقبّله. لا يمكنك أن تدعي والدك يسيّر حياتك.

أزاحت خصلات شعرها المتمردة عن وجهها المحمّر: «هل تضع اللوم الآن على والدي؟».

ـ لا تسيئي فهمي، ولكن بنظر أوين، أنت تحفته الأجمل.

ـ أتعني أنه قد ينسى بأن لديه ابناً رائعاً أيضاً؟

كان الغضب بادياً على محيّاها وهي تسأله ذلك، فهزّ لانغ كتفيه مجيباً:

ـ لا أقول إن أوين لا يحب روبي. بالعكس. فلطالما أمّن لديلما وروبي كل ما يحتاجانه، ما عدا وقته.

شعرت إيدن بالألم والارتباك والاستياء... والحب. فأين اختفى هدوؤها المعتاد؟

ـ هل تسيء الكلام عن أبي، صديقك وشريكك؟

لم يشح بوجهه عنها: «لا أظن ذلك. إذ يمكنني أن أقول له ذلك شخصياً. في الواقع، لقد سبق وفعلت ذلك، لكنني أردت فقط أن تري ذلك بنفسك. لن يفيدك أن تديري ظهرك للأمور».

ـ سوف أعود إلى المنزل.

ونظرت إليه كطفلة مجروحة، فذكّرها قائلاً: «لم يعد لديك منزل».

ـ لديّ جدي.

ـ ربما ولكنك لا تعرفين والدك بقدر ما أعرفه. إنه رجل عنيد. لقد وجدك الآن ولا أظنك ستفلتين منه بسهولة. أنا واثق من أنه عرض عليك أن تعملي في إحدى الشركات القانونية المرموقة هنا. وإذا أدرك أنك لست مرتاحة في المنزل، فسوف يبني لك منزلاً آخر بالقرب منه. إنه مقنع وقوي وسوف يجد سبباً ليقيك هنا، كما قد يفعل أي أب.

ـ لكنك تريدني أن أرحل. أليس كذلك؟

ـ بالطبع لا.

خرج منه هذا الردّ تلقائياً: «أنهم تماماً لما يحتاجك أوين. إنه يحبك وعثوره عليك جعله ينسى كل تعاسة الماضي».

ـ ومع ذلك أنت تظن أن سوءاً سيحصل. عليّ الاعتماد على تحليلك النفسي.

ـ لم أقل هذا، ولكنني أطلب منك فقط أن تستعدي لمواجهة بعض المشاكل. ينوي أوين أن يغيّر وصيته. لقد كلّمني بالأمر. وأتوقع أن..

قاطعته إيدن: «لكنه لم يخبرني بذلك. كما أنني لست بحاجة للمال».

توتر فمه الجميل: «لكنه يحلّ الكثير من المشاكل التي تعترضنا في الحياة. وهذا المال من حقك. يمكن للحياة أن تنقلب ضدنا أحياناً».

في الواقع، لم ينسَ بعد كم اضطر للعمل لينقذ عائلته.

ـ أتظن أن ديلما ستخاف على ابنها؟ هو أخي الصغير أيضاً.

ـ الأخ غير الشقيق. إنه ابن ديلما والغيرة تستحوذ على جزء كبير من حياتها. أظن أنها قلقة على إرث روبي ومركزها هي. ولا بد أنها تتساءل من سيرث الحصة الكبرى. وبما أنك امرأة ذكية، فأنا واثق من أن ذلك لا يفاجئك.

ـ المال ليس مشكلة بالنسبة لي. ما يهمني هو العائلة. أعرف أن ديلما لن تعتبرني أبداً فرداً من عائلتها ولكنني جئت فقط لتمضية العطلة.

ثم استدارت نحوه متحدّية: «قل لي يا لانغ فورسايت، بما أنك أقحمت نفسك في حياتي، ماذا عليّ أن أفعل برأيك؟».

قال بتنهيدة عميقة: «لا أودّ التشاجر معك».

ـ ولا أنا. أرجوك أجب عن السؤال.

لمعت عيناه كأحجار كريمة برّاقة وقاسية: «الأمر بسيط. تابعي حياتك. وارحلي عن هذا المنزل عندما تنتهي عطلتك. لن يكون عليك أن تبحثي عن عمل، فوالدك يمكن أن يجد لك وظيفة في غضون نصف دقيقة، وأنا أيضاً. لن تكوني وحيدة. سوف ترين أوين وروبي باستمرار وسوف تكتسبين الكثير من الأصدقاء الجدد. ستلتقين بالكثير من الأشخاص في الحفلة».

أجابته بحدّة: «لديّ أصدقاء. ولديّ عمل جيد».

بالإضافة إلى حرية الذهاب والمجيء متى يحلو لها.

ـ في شركة جدك؟ ماذا عن سانكلير؟

ـ لا أظنه سيعود.

ـ لست واثقاً من ذلك. ربما ستتحسن حاله بعد سنة. وأظن أن من حقه أن يتحدث معك عن بعض الأمور.

ـ يبدو لي أن همك الوحيد هو ديلما.

ـ يا إلهي!

وضرب لانغ بيده على صدغه يائساً: «هذه الأيام ديلما تواجه وضعاً صعباً ولا يمكنني مساعدتها بمجرد الأسف على حالها».

ـ ألا يمكنها أن تجد في قلبها بعض التعاطف؟ وكذلك أنت؟ فأنت لا تريد أن تفهم أو تسامح.

وكان التوتر يتملكها أكثر فأكثر وهالته الرجولية تؤثر عليها بشكل هائل.

ـ إيدن أنا آسف. أرجوك لا ترحلي.

مدّ يده نحوها محاولاً أن يستوقفها ولكنها كانت قد انطلقت، عاجزة عن ضبط أعصابها. كانت لا تزال في حالة صدمة، تحاول أن تتخطى موت أمها وأن تتأقلم مع حزنها. كانت حتماً سعيدة بالبقاء مع والدها وروبي لكن

حدسها ينبئها بأن لانغ فورسايت على حق: والدها سينفذ إرادته ولن يدعها ترحل. وربما يريد التحكم بحياتها أيضاً.

أمّا بالنسبة إلى لانغ فورسايت، فلم تعد تستطيع تحمل تلك الأحاسيس التي تشعر بها حياله. لقد أعاد الدم إلى عروقها والبسمة إلى ثغرها ولكن الكثير من العقبات تعترض طريقهما، لذا فهي تريد مقاومته.

قادتها قدماها المسرعتان نحو ممر تظلله أشجار الأوكاليبتوس ذات الرائحة العطرة. لكن، كان عليها أن تتوقف لتواجه لانغ، وهنا تكمن المشكلة. تمنت أن يأخذها بين ذراعيه ويعانقها بشدة، أن تستند إلى صدره وأن تكون قريبة منه. وبدأ تماسكها المعتاد ينهار ويتطاير أشلاءً.

لم تر حيوان الكنغر الصغير الذي ظهر من بين الأشجار. وفجأة عندما استدارت ورأته، أطلقت صرخة حادة. وبدلاً من أن يهرب، قفز الكنغر ناحيتها وهو يتفحصها بفضول وحذر. كانت من الارتباك بحيث تسمرت مكانها إلى أن اقترب لانغ وطرد الحيوان بواسطة غصن شجرة.

ـ أنا آسفة. كان ذلك سخيفاً. أعرف أن هذا الحيوان غير مؤذٍ.

ـ بل هو كذلك أحياناً.

نزعت القبعة عن رأسها وراحت تستعملها كمروحة، محاولة أن تستعيد بذلك مظهرها الطبيعي: «يكفي إثارة لليوم».

راقبها لانغ، عاجزاً عن سلخ نظره عنها. كان متشوقاً لضمّها. ولِمَ لا؟ أحياناً بعض الأمور تستحق المخاطرة.

دنا منها وجذب جسدها المرتعش بين يديه.

ـ أنت فاتنة.

نظر إليها لحظة طويلة من دون أن يشبع من جمالها، ثم دنا أكثر وشدها

إليه بقوة، فألقت بذراعيها حول عنقه وكأنها أدركت أن من العبث أن تقاومه أو ربما لأن مشاعره القوية كانت تسيطر عليها. كان عناقه حلواً عذباً وجارفاً. كان يعلم أن عليه السيطرة على مشاعره لكنه لم يستطع لجم أي من أحاسيسه. والآهة الخفيفة التي أطلقتها زادت النار اشتعالاً، وتبدد العالم من حولهما وكأن الوجود بات لهما فقط.

وأخيراً، ابتعد عنها. بدت له نضرة آسرة، وكأنها ليست من هذا العالم. إنه مجنون بهذه الفتاة ويريد أن يأخذها إلى عالم لا حدود له وشعر بأنه غارق هذه المرة حتى أذنيه. لقد خطفت أنفاسه.

ـ أردت أن أضمك هكذا منذ اللحظة التي رأيتك فيها.

كانت مضطربة بحيث بقيت لحظة صامتة ثم قالت: «وهل تسمي هذا عناقاً؟».

ـ وما كان هذا؟

ـ إنه أشبه باجتياح. لست أدري بما قد أصفه غير ذلك.

قال لانغ بهدوء: «من الأفضل أن نعود. أوين سيصطحبنا لتناول الغداء».

ـ نعم، أعرف.

ـ اقتربي مني.

ـ أتظن أن بإمكانك أن تتحكم بي في أي وقت؟

ـ لا أظن أنني أتحكم بك على الإطلاق. لقد أردتني أن أعانقك بقدر ما أردت أنا ذلك. ثم أريدك أن تقتربي لأنزع تلك الورقة عن شعرك.

ـ آه، أنا آسفة.

اقتربت منه وقد شعرت بالسخف وأحنت رأسها لينزع الورقة عنه. كان الجو بينهما حميماً، لقد جعلها لانغ تشعر أنها أشبه بناي ينفخ فيه أجمل المعزوفات.

www.elromancia.com

٧ ـ أخيراً أنت معي

فكر لانغ أن ديلما هي الأفضل في تنظيم الحفلات. فكل شيء بدا رائعاً: الحشد، الموسيقى، والأزهار.

كان الطعام شهياً وكذلك المرطبات التي وُزعت على الجميع. كان لانغ مستغرقاً في الحديث مع أحد الأصدقاء عندما أحسّ بدخول إيدن إلى الغرفة. فعندما ظهرت، صمت الجميع وأخذوا يحدقون إليها.

بدت إيدن كالحلم، وعندما دخلت القاعة لتحيي الجموع، شعر وكأن الزمن توقف. بدت رائعة، مشرقة وفاتنة كما تصورها تماماً.

يبلغ لانغ الثانية والثلاثين من العمر، وهو خبير في النساء وناجح في عمله، غير أنّه لم يعانِ يوماً من مشاعر قوية كهذه. باتت هذه الأحاسيس خطراً يداهم حياته. فهل رمته إيدن بسحرها وأصبح ضحية من ضحاياها؟

وصل لانغ متأخراً إلى الحفلة، فقد عاد لتوه من ماريللا التي قصدها للاطمئنان على والدته. كان المنزل يعجّ بالأحاديث والضحك والموسيقى، لكن كل شيء اضمحلّ عندما اتجهت إيدن نحوه، وعيناها تبحثان عن عينيه.

كان شعرها المتماوج منسدلاً على كتفيها وعيناها الفريدتان تشعّان ترحيباً. لم يستطع أن يسلخ نظره عنها، رغم أن أحدهم حاول لفت انتباهه. كانت تضع أحجاره الكريمة حول عنقها مع أقراط من الياقوت والماس أهداها والدها إياها.

كانت ترتدي فستاناً قصيراً، يظهر جمال ساقيها ما ذكره بفستان كانت أمه ترتديه في يومٍ ما.

اقتربت منه بكل أناقة، لكنه شعر وكأنها فراشة تقترب من النار، ذلك أنه قد يكون خطراً جداً.

ـ تسعدني رؤيتك، لانغ.

قالت ذلك وهي تقترب منه، باسمةً. بدت ابتسامتها من الروعة بحيث رغب في التقاط صورة لها ثم اعتذر منها: «آسف على التأخير».

وأضاف وقد أسكرته رائحتها: «تبدين رائعة».

ـ شكراً، وأنت أيضاً. قال لي أبي إنك ذهبت لرؤية عائلتك. آمل أن يكون الجميع بخير.

ـ إنهم بخير. أخبرتهم الكثير عنك، ما يعني أنك ستتلقين دعوة قريباً.

بدت سعيدة ومذهولة في الوقت نفسه: «الرؤية ماريللا، والعائلة؟ هذا رائع! أتحرق شوقاً للذهاب».

ألقت إيدن نظرة من فوق سترته الأنيقة إلى القاعة: «لقد تقبّلني الجميع».

ـ لا شك بذلك فأنت ابنة أوين الجميلة الوحيدة...

بعد ساعات، كان صديقه هاري ريتشاردسون من بين الذين يحدّقون إلى إيدن، فاقدي التركيز على حديثهم، وقد قال بصوت أجش خافت:

ـ اعذرني لانغ، ولكن من هي فعلاً؟.

ـ عمّ تتكلم بحق الله، يا هاري؟ إنها ابنة أوين.

ـ أعرف ذلك يا صديقي، أعرف. ولكنها فاتنة حقاً، أليس كذلك؟ ومثقفة أيضاً. أنا مذهول بها. لكنني للأسف أناهز الخمسين من العمر.

ـ ولديك زوجة وأربعة أولاد.

ذكّره لانغ بذلك باقتضاب ثم أردف قائلاً: «إيدن شابة ذات خلفية ممتازة وتنحدر من عائلة ذات باع في القانون. هي نفسها محامية».

ـ شابة ذكية! في أي مكتب تعمل؟

ـ أنت فضولي جداً.

ـ الجميع هكذا.

أجابه هاري بذلك من دون أن يشيح بنظره عن إيدن التي تتنقل في القاعة ببطء بالغ، إذ كان الجميع يستوقفها ليتعرف إليها أكثر: «يعجبني فستانها. يبدو أنها تتجه نحوك يا صديقي. أنت بارع مع النساء».

ـ شكراً هاري.

لكن لارا هانسن كانت أكثر تشوقاً لرؤية لانغ بمفرده فاستغلّت الفرصة لتقترب منه قبل أن تسبقها ابنة أوين المحبوبة. لقد تعارفا في بداية الحفلة ولارا ذكية بما يكفي لتدرك أن الشابة التي دخلت حياة آل كارتر فجأة، تنافسها بضراوة. لا شك أنها عرفت كل شيء عن مشاعر ديلما، فهما صديقتان حميمتان. وبالرغم من السنوات السبع التي تفصل بينهما، كانتا تتشاطران الاهتمامات والهوايات الرياضية نفسها.

تعلم لارا أن ديلما كانت تخشى منذ وقت طويل حصول شيء يفرّق بينها وبين زوجها. وها هي ابنة أوين الحبيبة تظهر على حين غرّة!

قد تبدو غير عابئة بثروة أبيها لكن ديلما تظن أنّ هذه الفتاة تعمل سراً للتأثير على أبيها. في الواقع، أوين لم يبخل على عائلته بشيء ولكن ديلما قلقة على إرث روبي. وهي مرتابة بشأن التعديلات التي قد يجريها أوين على وصيته. غير أن ذلك لم يؤثر على أناقتها وسحرها الليلة.

توقفت إيدن للتكلم مع مجموعة من الضيوف، فاستغلت لارا الفرصة لتنضم إلى لانغ وتتأبط ذراعه. كانت ترغب في الفوز بقلب هذا الرجل ولكن مهما فعلت وحاولت إغواءه، يبقى هو على مسافة منها. سألته بابتسامة مثيرة وهي تنظر إلى وجهه الوسيم الغامض: «متى سترقص معي؟».

ـ لارا، كيف حالك؟

استدار لانغ، مبتعداً عن هاري الذي صافح لارا وانسحب مستأذناً.

ـ هذه حفلة. لن تمضيها وأنت تتكلم عن العمل.

ـ وكيف عرفت أنني أتكلم عن العمل؟

ـ هذا محور حياتك، أليس كذلك؟

ـ أظن ذلك.

جالت عينا لارا الزرقاوان في أرجاء القاعة، وقالت بخفّة: «يبدو أن ابنة أوين المحبوبة تتلاعب بالجميع».

ولم يفتها عبوس لانغ المفاجىء، فأحياناً يبدو قاسياً جداً: «لا أظن أن أوين سيروقه قولك لارا، ولا أنا أيضاً. ولا أريد لإيدن أن تسمع هذا الكلام».

تراجعت قليلاً إلى الخلف وقد فاجأتها لهجته الفظة، وخففت الضغط عن ذراعه قائلة: «أنا آسفة إذا كنت قد ضايقتك. كنت أمزح. فأنا شخصياً أجدها رائعة وأظننا سنصبح صديقتين. وأودّ لو تحضرها ديلما لزيارتنا».

ـ سيكون ذلك جيداً.

ابتلع لانغ الكذبة البيضاء، نادماً على حدة لهجته ولكنه كان قد سئم الخداع. في حين أن لارا تابعت قائلة: «لكن لا يمكنني القول إنني ألوم ديلما على قلقها».

سأل لانغ مبدياً نفاد صبره: «وماذا يُفترض بهذا أن يعني؟».

ـ لم لا نخرج إلى الشرفة؟ إنها ليلة رائعة! أنا وديلما صديقتان ومن الطبيعي أن تسرّ إليّ بأمورها.

سألها فيما هما يسيران إلى الشرفة المضاءة: «وهل من المقبول أن تخبريني بما أسرّت به إليك؟».

ـ لا تكن قاسياً لانغ. ديلما تعشق أوين، وأنت تعلم هذا. ومع ذلك هي لم تشعر يوماً بالأمان. وأفترض أن لديها أسبابها.

ـ أتعنين إيدن؟

ـ لا تقل لي إنك لم تلاحظ مدى شغف أوين بابنته؟ هو يتصرف وكأنها محور حياته، وليس ديلما أو روبي. أظنه يعوّض عن شعور بالذنب.

قال لانغ بلهجة غاضبة: «لارا، لا أريد متابعة هذا الحديث».

ـ فهمت، ولكن يمكنك أن ترى أنني لا أريد أن تتأذى صديقتي بأي شكل. ديلما تقول إن إيدن ودودة جداً بوجود أوين ولكنها مختلفة تماماً عندما يكونان بمفردهما. يبدو أن كل ذلك الودّ يتبدد.

ـ لا أصدق ذلك. ديلما تحرّف الوضع لمصلحتها الخاصة.

ـ أرجوك لانغ، هي لا تتذمر ولكنها بحاجة إلى من يصغي إليها ويتعاطف معها. فهي تظن أن إيدن تحاول اختراق العائلة.

تمشى لانغ قليلاً على الشرفة، محاولاً كبح جماح غضبه الذي أثارته لارا بهجومها. واستطاع أن يسمع وقع كعبيها العاليين وهي تسير خلفه. كانت الليلة استوائية والسماء مرصّعة بملايين النجوم، والجو عابقاً بشذا الغاردينيا، تماماً كرائحة بشرة إيدن. ولكن لارا وليست إيدن تلك التي وضعت أصابعها على ذراعه وقالت: «يمكننا أن نتكلم إن شئت».

اقترحت لارا ذلك وقد شعرت بالغيرة وبأنها غير محبوبة: «لم أنت غاضب؟ ماذا تعني لك تلك الفتاة؟ آمل ألاّ تكون قد نالت منك أنت أيضاً».

وجد لانغ نفسه يضغط على شفتيه: «مهلاً لارا. هذه حفلة، وقد أقيمت على شرف إيدن. وها أنت الآن بعد أن قلت إنك تأملين مصادقتها، تحذرينني من أنها انتهازية. أليس هذا ما تقولينه؟».

تنهدت لارا بألم: «أنت لا ترحم لانغ. أحياناً أتساءل لماذا أهتم لأمرك إلى هذا الحد. ظننت أنك تدين لي بشيء من الوفاء، وديلما أيضاً. أخبرتني أن إيدن شابة تستحق الإعجاب والتقدير، ولكنها قلقة لما يحصل في حياتها هي. ما الضير إن شاركتني ديلما مخاوفها وشاركتك أنا مخاوفي؟».

ـ أنت تلعبين لعبة قذرة أليس كذلك؟

حتى في الظلمة لم يفتها تعبير وجهه الغاضب.

ـ أنا لا أحاول التقليل من شأنها. لا بد أن إيدن شعرت بالحرمان في حياتها والآن وقد وجدت والدها، تريد أن تصبح شخصاً مهماً في حياته.

وكادت تقول: أهم شخص في حياته.

ـ هي كذلك.

ـ هل لديك رأي مغاير بهذا الشأن؟ أؤكد لك أنني أريد الإصغاء إلى ما ستقوله. فأنا أؤمن بحسن حكمك على الأمور لانغ.

فسألها ساخراً: «ومن ثم تنقلين رأيي لديلما. أليس كذلك؟ أظنني أفضل أن أحتفظ برأيي لنفسي لارا».

ـ لم أنت غاضب منّي؟ ليس من الصعب فهم ردات فعل ديلما وإيدن. المسألة كلها هي أوين والتنافس على كسب حبه.

ـ هلاّ تركنا الموضوع هنا من فضلك؟

قال لانغ هذا بألطف ما أمكنه، واضعاً يده على كتف لارا: «هناك دائماً مشكلة المال ولكن أوين رجل منصف وكريم وهو لا يزال في عز شبابه وأمامه سنوات كثيرة يعيشها. لذا فإن مخاوف ديلما سابقة لأوانها. لنعد إلى المنزل الآن».

ـ يمكنك الآن أن ترقص معي.

داخل القاعة التي أُخليت للرقص، كانت إيدن ترقص بين ذراعي شاب ضخم الجسم، قوي البنية. وعندما دخل لانغ ولارا هانسن باحة الرقص، لاحظت إيدن تعبير الإثارة على وجه لارا ونظرة العشق في عينيها الزرقاوين. فأشاحت بنظرها بسرعة، لأن الغيرة تسللت إلى كيانها، وكان ذلك شعوراً غريباً لم تعهده. بدا لانغ في غاية الوسامة الليلة وفي غاية الأناقة أيضاً.

قالت إيدن وقد تورّمت قدماها لكثرة ما رقصت هذه الليلة: «أظنني رقصت بما فيه الكفاية حتى الآن. شكراً لك غافين».

بدت الخيبة على وجه غافين وهو يقول: «بهذه السرعة؟».

ـ لقد رقصت كثيراً وأودّ تناول كوب من العصير.

ـ طبعاً، سأحضره لك. لا تبارحي مكانك.

ـ لن أبتعد كثيراً.

اتّجهت نحو الشرفة، رافضة دعوات عدّة للرقص. كان الطقس جميلاً تلك الليلة. أخذت نفساً هادئاً، آملة ألاّ يعود ذلك الشاب الذي رقصت معه من قبل. كان وقت العشاء يقترب. لقد فعلت ديلما ما بوسعها لإنجاح السهرة، حتى إنها اصطحبت إيدن إلى متجر راقٍ لشراء فستانها.

بدت السماء مذهلة والنجوم أشبه بأحجار ماسيّة خلابة. قطفت إيدن زهرة غاردينيا عطرة وأخذت تتنشقها. كانت الانفعالات تتملكها وتكاد تفقدها توازنها. بالكاد رأت لانغ الليلة، وصعب عليها أن تتقبل فكرة أن حياة لانغ لا تشملها هي إنما تشمل نساء أخريات. لم لا؟ فهو بالغ الجاذبية، وصديقته المثيرة لارا لم تستطع إخفاء مشاعرها تجاهه.

تناهى إلى سمعها وقع خطوات متجهة نحوها. إنه غافين مع كوب العصير. استدارت بسرعة وقد تلاشت ابتسامتها: «آه! ظننت أنه غافين».

أجابها بابتسامة متهكمة: «أظن أن بإمكان غافين أن يتخلى عنك لبعض الوقت ولكن هذا هو كوب العصير الذي طلبته».

ـ هل أخذته منه؟

ـ وكيف يمكنني الوصول إليك بغير ذلك؟ الجميع يتهافت على رفقتك الليلة.

ـ لا أذكر كل الأسماء ولكن الجميع هنا لطفاء.

ـ أخيراً، أنت معي.

قال ذلك بلهجة ملأتها مشاعر قوية كادت تدمّرها، وأحاط بهما جو من الإثارة أشبه بسحابة من النار. حاولت إيدن تبريد الشعلة المتأججة في داخلها من خلال احتساء رشفة من العصير البارد، ثم قالت: «لقد التقيت صديقتك لارا».

ـ تجعلين الأمر يبدو وكأن لارا وأنا ثنائي، في حين أننا لسنا كذلك.

ـ إنها جذابة جداً. غريب أنك لم تتذكر لون عينيها الزرقاوين. لكن ذلك لم يكن صحيحاً، أليس كذلك؟

أطلق ضحكة سريعة: «لا. كنت أحاول مضايقة ديلما. فمن الواضح أنها تودّ أن تكون علاقتي بلارا جدية».

ـ وأنت لا تريد ذلك؟

ـ أقرّ بأنني حتى الآن كنت أعتبر الحب تسلية، ولكن كان لديّ عذر فقد كنت مشغولاً جداً ولا يمكنني اتخاذ قرارات من هذا النوع.

ـ سيكون عليك أن تفعل ذلك عاجلاً أم آجلاً.

ـ حقاً؟ هل من اقتراحات؟

ونظر إليها والرغبة تشتعل في عينيه فأشاحت بنظرها نحو الحدائق السابحة بالأضواء، العابقة بالعطور: «أفضّل ألاّ أتدخل في هذا الموضوع».

ـ يا للأسف! كان بإمكاني أن أقع في حبك، لو أن هذا لا يشكل مشكلة. ويفاجئني أنني لم آخذك وأحملك بعيداً.

تفجّر العالم ألواناً أمام ناظريها، فسألته بمشاعر قوية: «إلى أين؟».

ـ بعيداً جداً في الليل المسحور.

هذا بالضبط ما حلمت به.

وفجأة، حلّق طائر ليلي على ارتفاع منخفض جداً، فأطلقت إيدن صرخة حادة، جعلت لانغ يرفع ذراعه ليخيف الطائر ويبعده.

قال وقد رآها ترتجف: «أنت متوترة جداً».

ـ هل لاحظت ذلك؟ أفترض أن هذا ما يعجبك. أن أفقد توازني.

ساد صمت طويل خرقه لانغ أخيراً بقوله: «أذكر المرة الأخيرة التي عانقتك فيها».

ـ تعني المرة الوحيدة.

أحسّت إيدن بروحها ترفرف عالياً.

ـ كان ذلك رائعاً. أشعر وكأنني أعرفك منذ زمن بعيد. بالمناسبة، ماذا تفعلين بهذه الزهرة؟

سألها ذلك وسمح لنفسه بأن يأخذها منها، مسحوراً بعطرها.

ـ أظن أن علينا الدخول.

كانت مشاعرها نحوه قوية، ولكنها مشحونة بالتوتر.

ـ أظن ذلك.

ما إن همّا بالتحرك، حتى سمعا صوت ديلما. بدت منزعجة قليلاً وكأن الأمور لا تجري حسب ما هو مخطط لها: «أعرف أنهما خرجا إلى هنا».

أطلق لانغ شتيمة عند سماع ذلك: «اللعنة! هل تطاردانا؟».

ـ ديلما وصديقتك لارا.

وبحركة مفاجئة، وضع لانغ ذراعه حولها، وقربها منه ليتواريا معاً خلف إحدى الأشجار، فاشتعلت المشاعر في جسم إيدن. لكنها بقيت جامدة من دون حراك وهو يضع كلتا يديه عليها ويدنيها منه. راح الدم يغلي في عروقها وقلبها ينبض بجنون. لم تظن أنها قد تشعر يوماً بمثل هذا الإحساس بعيداً عن هذا العالم الرائع، كانت ديلما ولارا لا تزالان تتابعان حديثهما وتتساءلان عن مكان لانغ وإيدن.

شعرت إيدن بأنها مخلوقة من أجل لانغ دون سواه. كان صوت ديلما لا يزال مسموعاً ولكن أيّا منهما لم يبال بها، لا سيّما لانغ الذي وجد في إيدن المرأة التي لطالما أراد. كانت لمسته حارقة، مثيرة. ربّاه! إلى أين سيؤدي ذلك؟

وشعرت بساقيها تضعفان، فعضّت على شفتها السفلى لكي تسيطر على مشاعرها. همس لانغ في أذنها: «أودّ لو أبقيك دائماً بين ذراعيّ».

وبينما كانا ضائعين في بحر من الأحاسيس، سمعا ديلما تقول بإحباط: «لا بد أنهما في المكتبة. لا يمكن أن يختفيا هكذا».

أزاح لانغ شعر إيدن إلى الخلف وعانقها. ودّ لو يبقى هكذا طيلة الأمسية ولكن كان عليهما العودة إلى الداخل، وهناك سوف تنصبّ العيون عليهما.

ساد الصمت فجأة على الشرفة، فهمس وقد شعر بأنه لم يعد يستطيع تحمل هذا العذاب إن لم يرحل بها بعيداً: «لقد رحلتا».

ـ لقد بدأتا حقاً تكرهانني.

ـ هراء. الجميع يحبك. ديلما ستتمكن من السيطرة على غيرتها. امنحيها بعض الوقت.

ـ و... لارا أيضاً؟

ـ لارا تشعر بالحسد.

استدار ليتفقد الطريق إلى المنزل: «يمكننا أن نتسلل عبر مكتب أوين. إنه مفتوح. يمكنك أن ترتاحي فيه قليلاً».

هذا بالضبط ما ستفعله، فقد شعرت بالحرارة تغلي في جسمها. قالت له وهي تسوّي فستانها: «لا أصدق الأمور التي تفعلها».

ـ لست وحدي في ذلك إيدن.

ـ أعرف ولكنني لم أشأ... لم أقصد أن...

ـ كاذبة.

كان من الصعب بعد ذلك تمضية الأمسية بشكل طبيعي.

خلال العشاء، ألقى أوين خطاباً مثيراً للمشاعر. فلم يكن أحد يعرف أن لأوين ابنة، إلاّ مؤخراً. والآن أدركوا سبب الحزن العميق الذي كان يظهر في عينيه على الدوام.

هنّأ الحضور أوين واتفقوا جميعاً على أن ابنته شابة جميلة وقد سرّهم لقاؤها. وأنها يجب أن تبقى هنا بدلاً من العودة إلى بريزبان، الأمر الذي لن يسمح به أوين.

ورغم أن عيني ديلما الداكنتين ابتسمتا ورغم أن لارا حافظت على لهجتها الودودة، إلاّ أن إيدن لم تصدّق أيّاً منهما. فلو كان الأمر عائداً إليهما، لجعلاها تختفي فجأة، إذ إنها زعزعت عالمهما.

كانت الساعة قد تخطت الثانية فجراً عندما غادر المدعوون، باستثناء لانغ الذي لديه غرفة خاصة به، ما يسهّل الأمور كثيراً.

ـ كانت حفلة رائعة ديلما. شكراً جزيلاً.

قالت إيدن ذلك ممتنة، وبدا أوين سعيداً جداً وهو واقف في غرفة الجلوس محيطاً خصر ابنته النحيل بذراعه.

ـ شكراً لك أيضاً أبي.

ودنت إيدن منه لتقبّل خدّه: «كان ذلك رائعاً وشكراً مجدداً على الأقراط الجميلة».

ـ إنها بداية المجموعة التي سأهديك إيّاها. تبدو رائعة في أذنيك وكذلك عقد لانغ. آه! عزيزتي قولي لي إنني لست أحلم.

طمأنه لانغ وهو يضع يده على كتفه: «إنها الحقيقة أوين».

ـ لكنني خائف.

حدقت إليه إيدن وقد بدا القلق فجأة في عينيها: «لماذا أبي؟».

ـ أنا خائف من أن ترحلي عنّي.

وراح أوين يداعب شعر ابنته الطويل: «أحبك».

ـ لا تفعل أوين.

حذرته ديلما وكأنها تخشى أن يؤذيه انفعاله، ثم أردفت: «أنت تحرج إيدن أيضاً».

ـ لا، لا إطلاقاً. سأكون دائماً هناك من أجلك أبي.

ـ لا أريدك هناك حبيبتي، أريدك هنا. هذه العطلة سوف تنتهي قريباً. لا أريد ابنة مؤقتة.

تدخلت ديلما بسرعة، قائلة: «أوين عزيزي، لا بد أن إيدن مرهقة».

ثم منحت إيدن ابتسامة دافئة: «كانت محط الاهتمام طيلة الأمسية».

ـ طبعاً. أنا آسف. اخلدي إلى النوم حبيبتي ونامي جيداً. غداً ستذهب في نزهة في المركب. هل يناسبك ذلك لانغ؟

جاء صوته دافئاً وهو يجيب صديقه: «بالمناسبة، لديّ اقتراح لاسم النادي الرياضي».

ـ ذلك النادي أشبه بجنة عدن.

قالت إيدن ذلك بصدق وهي تنظر مجدداً إلى أناقة لانغ وقامته الطويلة.

ـ هذا هو بالضبط: بحيرة إيدن (عدن). هل يعجبك؟

لمعت عينا أوين الداكنتان سروراً: «بحيرة إيدن؟ يبدو لي الاسم ممتازاً».

قالت ديلما مشيرة إلى اقتراح سابق: «أنا أفضل «كهف الزمرد»».

فنظر إليها أوين بشيء من السخط: «بحيرة إيدن اسم جيد أليس كذلك لانغ؟».

www.elromancia.com

ـ أنا أظنه ممتازاً. ماذا عنك إيدن؟

راح يتأملها بشكل غريب أحرجها. لقد أحبت الاسم ولكن من حق ديلما أيضاً أن تختار الاسم الذي يروقها. شعرت إيدن أن والدها يبدو أحياناً قاسياً ومتسلطاً جداً مع زوجته. ربما يعود السبب في ذلك إلى فارق السنّ بينهما.

حثها أوين عندما وجدها صامتة: «إذاً».

ـ إنه رائع أبي.

واقتربت منه لتطبع قبلة على خده ثم اتجهت نحو لانغ الذي لفّ كتفها بذراعه، مرسلاً في كيانها رعشة قوية.

ـ يا إلهي! يا لها من ليلة!

قال ذلك، متمنياً لو يستطيع أن يختلي بإيدن ويعانقها مجدداً حتى طلوع الصباح. لكنه ابتعد عنها بسرعة ثم اتجه نحو السلّم، ملقياً عليها نظرة أخيرة وهي تتمنى له ليلة سعيدة. كان احتضانه لها أشبه بعقاب إذ اكتشف أنه يرغب فيها بكل ذرة من كيانه. ولو عرف أوين بأفكاره، لزجّه في السجن.

* * *

في غرفتها المترفة، ضاعت إيدن في حلم جميل فيما هي تبدّل ملابسها على مهل. راحت تستعيد في ذاكرتها تلك الدقائق التي عرفتها على الشرفة حيث اشتعل الشغف بينهما كشعلة نار. أرادت أن تبقى أكثر برفقة لانغ ولكن ذلك مستحيل. أتراها وقعت في حب هذا الرجل ذي العينين الفضيتين؟ وماذا عنه هو؟ هل ينظر إليها وكأنها امرأة أخرى يستطيع إغواءها بسهولة؟

كانت بشرتها لا تزال مشبعة بعطره ومطبوعة بأثر يديه الحارقتين. اتجهت إيدن إلى النافذة ونظرت إلى القمر النحاسي الكبير، وهمست:

ـ احلم بي وسوف أحلم بك.

٨ ـ إلى جزيرة الكنز

في الصباح التالي، استيقظت إيدن، مجفلة. كان أحدهم يدغدغ أذنها. وإذا بها ترى وجهاً صغيراً لطيفاً: «روبي، حبيبي».

جلست إيدن بسرعة في سريرها: «كم الساعة الآن؟».

ـ لقد طلعت الشمس.

قال ذلك سعيداً وصعد إلى السرير بجانبها: «كيف كانت الحفلة؟».

ـ رائعة، رائعة! هل رأيت الضيوف يصلون؟

ـ بعضهم فقط. لقد أرسلتني أمي إلى النوم. إنها دائماً تستعجل الأمور.

ـ كان الوقت متأخراً، ولكن لا تقلق لا يزال هناك الكثير من الأطعمة اللذيذة وأبي سيأخذنا اليوم بنزهة في المركب.

ـ ما زال الجميع نياماً. لقد رأتني أمي ولكنها طلبت مني أن أعود إلى النوم. بدت شبه نائمة.

ـ إنها السادسة صباحاً.

استدار نحوها ليحدق إلى وجهها: «أنت لست تعبة. أليس كذلك؟».

ـ لا، وها أنا قد استيقظت.

سأل روبي، راجياً أن يكون جوابها إيجابياً: «هل نام العم لانغ هنا؟».

ـ نعم.

ـ رائع! هو يسمح لي بالقيام ببعض الأشياء. يا ليت لي أب مثله.

شعرت إيدن بشيء من الخوف: «لكنك تحب أبي، أليس كذلك روبي؟».

ـ طبعاً، ولكنه دائم الانشغال ولا يعيرني الكثير من الاهتمام.

ـ إذاً سنجعله يفعل.

ـ رائع!

وضرب كفّه بكفّ إيدن: «ما رأيك لو نتمشى على الشاطىء؟ يمكنني أن أحضر كرتي».

ـ عظيم. اذهب وارتد ملابسك. أنا أنتظرك.

كان الصباح يشرق جمالاً والنسيم دافئاً ناعماً والمياه فيروزية رائعة. وراحت الأمواج تتكسر عند أقدامهما الحافية.

تناهى إلى مسامعهما صوت موسيقى صاخبة. شعرت إيدن بالسعادة فراحت ترقص جذلى وسرعان ما انضم إليها روبي بفرحة غامرة.

ـ أليس هذا رائعاً؟

راح روبي يصيح ويركض ليعانق إيدن قبل أن يستأنف الرقص.

كانت طيور النورس تحوم حولهما، فأخذ روبي يصفّق بيديه، منادياً إيدن ليدلّها على بعض الطيور والدلافين.

ـ انظري إليها. لن تؤذيك. هنا لا نرى أبداً أسماك قرش.

وأسرع إلى حدود المياه والنسيم ينفخ في خصلات شعره المجعّدة.

يا له من صبي رائع! إنه أخوها! وتمنت إيدن أن يكون لانغ هنا معهما على الشاطىء، فهذا سيجعل الأمور رائعة. إنه الرجل الوحيد الذي يجعلها تشعر بالرومنسية. ورغم أنها خلدت إلى النوم وهي تتنفس اسمه، إلا أن الأحلام جافتها وكأن مشاعرها من الخطر بحيث يجب لجمها.

حدقت إلى المنزل وراحت تفكر في أنه سيستيقظ قريباً. أملت أن يراهما من شرفة غرفته، وتخيّلت نفسها تلوّح له بيدها مسرورة: انضمّ إليّ. انضمّ إليّ.

ناداها روبي، معيداً إيّاها إلى دنيا الواقع. لقد ظنت أن روبي ولد أفسده الدلال، فهي تعرف أن ديلما كثيرة القلق على سلامة ابنها. ولكنها وجدت

أخاها صبياً لطيفاً وطيّب القلب. ولقد أخذت قوله بأن والدها لا يوليه الكثير من الاهتمام على محمل الجد. لا بد أن أوين كان، قبل أن تدخل حياته، رجلاً وحيداً لا يسمح للآخرين بالاقتراب منه كثيراً. كان على أوين أن يخصص وقتاً أطول لابنه وأن يقول لزوجته إنه يحبها. عليه أن يفعل ذلك، وستكون هذه بداية!

شعرت إيدن أن إحساس ديلما بعدم الأمان هو سبب كل مشاكلها. غير أن أفكارها بعد تلك الليلة بقيت منصبّة على لانغ، وقد بدا لها أن لا حول ولا قوة لها أمامه. لِمَ تنساق وراء مشاعرها وتنجرف معه بسهولة؟ هذا ما يحصل حقاً! أدركت إيدن أنها وقعت في حبه وأن الانفصال عنه سيؤذيها... ربما أكثر من ابتعادها المؤقت عن أبيها وروبي. وتساءلت إن كان بمقدورها تحمل أي صدمة أخرى في حياتها. لماذا فتحت قلبها له كما فعلت؟ إنه أمر غريب جداً. فطيلة حياتها لم تعتمد على أحد، حتى أمها وجدّها وكذلك ريمون سانكلير. أتراها تعاني من الحرمان العاطفي؟

لانغ رجل ديناميكي ومثير أيضاً. لقد عرفت رجالاً قبله ولكن أحداً لم يلمسها أو يعانقها مثل لانغ. لطالما كانت امرأة متماسكة، تعرف ما تريده، في مهنتها وفي علاقاتها. لكنها الآن أمام رجل قوي الشخصية والتأثير وهذا يعرّضها للخطر. لقد رأت مدى اهتمام لارا هانسن به، وعلى الأرجح أن تلك المرأة شاركته سريره ولكنها لم تفز بقلبه.

ولكن هل لديه قلب لتفوز به؟

بقيا على الشاطىء لأكثر من ساعة تقريباً. وعندما غلبه الجوع، خرج من الماء وهو يقفز سعيداً: «الحلوى. هذا ما أريده. قطعة من حلوى الحفلة».

ـ لا يمكن أن تكون جاداً.

ـ بلى.

ابتسم لها واعتصر يدها بيده: «أليس رائعاً أن يكون لي أخت؟ يمكنني أن أخبرك كل شيء. أرجوك لا ترحلي».

ـ أتعني إلى بريزبان؟

ـ أريدك أن تبقي هنا، فقد جعلت أبي يضحك كثيراً.

راحت إيدن تدغدغه ما جعله يضحك طيلة المسافة المؤدية إلى المنزل.

وبعد هذا المرح وهذا الصباح الجميل، صُدمت إيدن برؤية ديلما تخرج كالزوبعة من الباب الأمامي وتسألهما عن مكان وجودهما. وإذا بها تمسك روبي من كتفيه الصغيرتين وتهزه موبّخة:

ـ إياك أن تخرج أبداً من دون أن تعلمني!

ـ ديلما، كنّا هنا على الشاطىء.

قالت إيدن ذلك معترضةً ووقفت إلى جانب روبي: «لو اقتربت إلى الصخر الكبير، لرأيتنا بوضوح».

كان صراخ ديلما عالياً بما يكفي ليسترعي انتباه زوجها الذي خرج مسرعاً وخلفه لانغ وقد بدا كلاهما ذاهلاً.

سأل أوين وقد بدا عليه نفاد الصبر: «ديلما، ما الأمر؟».

فاستدارت لتواجهه: «لقد خفت كثيراً. توقعت أن يكون روبيرتو في سريره ولكن إيدن أخذته إلى الشاطىء من دون أن تخبرني. ظننت أنها بعد ليلة البارحة، ستطيل النوم».

ـ ولكنها لم تفعل.

هتف روبي بذلك، مستخدماً لهجة أمّه: «إيدن صديقتي».

وبّخته ديلما: «أسكت روبيرتو».

فداس على قدمها: «دعيني».

صفعته ديلما بقوة فانفجر الصبي بالبكاء. في حين اعتذرت إيدن قائلة:

ـ اسمعي، أنا آسفة ديلما. جاء روبي إلى غرفتي ليرى إن كنت مستيقظة ثم ذهبنا إلى الشاطىء وأمضينا وقتاً جميلاً. فلا داعي لكل هذه الجلبة.

ـ هذا طبيعي. ولكن ديلما تفعل كثيراً عندما يبتعد روبي عن نظرها.

فقالت ديلما: «كنت أتوقع منك أن تتركي رسالة مع ماريا».

ـ أعدك أن أفعل ذلك في المرة القادمة، ديلما.

توقف روبي عن البكاء ليصرخ في وجه أمه: «دعي إيدن وشأنها. إنها أختي».

لكن لانغ هو من أسكته هذه المرة: «هيا روبي. ما رأيك لو أحملك على ظهري وندخل إلى المنزل؟ لا بد أنك تريد تناول الفطور».

ـ ما أريده هو الحلوى.

ـ حسناً.

وحمل لانغ الصبي على كتفيه: «تعالي معنا إيدن».

جاء صوته هادئاً رغم غضبه من ديلما. كان يجدر بها السيطرة على أعصابها فقد جعلت إيدن تصاب بالشحوب، الأمر الذي أزعجه وأغضبه.

ـ اذهبا وسأوافيكما بعد قليل.

أدركت أن لانغ غاضب من تصرف ديلما معها. لقد رأت شعلة الغضب في عينيه.

أمّا أوين فعبس قائلاً: «أظنني سأتحدث مع ابني قليلاً، لا يمكنني أن أدعه يتهجّم على أمه».

فأجابت ديلما، في محاولة للدفاع عن ابنها: «في الواقع، لقد وقف على قدمي فقط».

ـ في المرة القادمة سيرفسك. يجب أن ألقنه درساً. هل ستأتين؟

www.elromancia.com

ـ بعد لحظات. أودّ أن أشرح موقفي لإيدن، فهي لا تعرف بعد ما هي الأمومة.

ـ واشرحي لها أيضاً ما يزعجك غير ذلك.

وعندما رحل أوين، استدارت ديلما نحو إيدن: «آسفة إن كنت قد أغضبتك إيدن ولكنني أخاف على روبيرتو».

ـ أكثر مما يلزم ديلما.

قالت إيدن ذلك بهدوء وقد رأت أن الصراحة أمر جيد في مثل هذا الموقف: «سامحيني على قول ذلك ولكن لو أن لانغ هو من أخذ روبي، لكان الأمر عادياً. لكنك تكرهينني. أعرف أنك تبذلين ما بوسعك لإخفاء الأمر ولكني أرى الحقد يتآكلك».

إنها ساعة الحقيقة. كلاهما تعرفان ذلك. فسألت ديلما: «ألن تكوني حاقدة لو كنت مكاني؟».

ـ فكرت بوجهة نظرك ديلما وأعرف مخاوفك، ولكن في الواقع، لا سبب يدعو لذلك. أبي لم يخنك يوماً. كان مغرماً بأمي قبل أن يلتقيك بزمن بعيد. وأنا لا أحاول سلب حبه واهتمامه. أنا أحب روبي وهذه ليست سوى عطلة بالنسبة لي.

ـ أتتوقعين مني أن أصدّق ذلك؟ كلتانا نعرف أن هذا ليس صحيحاً. فأنت سوف تبقين هنا. ولا تظني أنني لم ألاحظ ما يجري بينك وبين لانغ.

ـ ما يفعله لانغ ليس من شأنك.

احمرّ وجه ديلما فجأة: «هو مثير ووسيم. ألا تدركين أنك قد تكونين رقماً آخر يضاف إلى لائحته؟ علاقة ستنتهي قبل أن تبصر النور».

ـ قلت لك إن هذا ليس من شأنك. أنا في الرابعة والعشرين من العمر وأنا مسؤولة عن أخطائي. لنسَ هذا الحديث.

شمخت ديلما بأنفها: «تذكري بأنني أكبر منك سناً وأكثر منك حكمة. كما أنني أعرف لانغ منذ وقت طويل، لذا يمكنني أن أنصحك. جميع النساء يقعن في غرامه. لارا كان لها حظ أكثر من الأخريات. لا أريد أن أرى ابنة أوين تتعذب».

ولا تريد حتماً أن ترى لانغ وإيدن ينشئان علاقة، بمباركة أوين، تهدد مستقبل روبي.

قالت إيدن بهدوء بالغ: «دعي الأمر لي ديلما. لست بحاجة إلى نصيحتك».

ـ أظنك ستلجأين إلى والدك؟

ـ اهدأي ديلما. لن ألجأ إلى أحد. وأنت لستِ بحاجة إليّ لتؤثري على أبي. أنت تقومين بالعمل جيداً من دوني.

كانت إيدن جالسة على مقعد حجري، تنظر إلى البحر عندما انضمّ إليها لانغ بهدوء وأمسك يدها: «ما كان سبب كل هذا؟».

ـ أنت الخبير في شؤون ديلما.

تفحص لانغ جانب وجهها وقد لاحظ بوضوح أنها ما زالت غاضبة. بدت في الخامسة عشرة من العمر بشعرها المنسدل على وجهها وسروالها القصير: «جميعنا نعلم أنها تخاف قليلاً على روبي. هي لا تدعه يغرب لحظة عن نظرها».

ـ تخاف قليلاً؟

وسحبت إيدن يدها من بين أصابعه وراحت تلعب بخصلات شعرها.

ـ أظنها ستكف عن ذلك قريباً. لقد سئم أوين من هذا كله.

جلسا لحظة جنباً إلى جنب من دون أن يتفوها بكلمة.

ـ قلت منذ البداية إنني لا أريد التدخل بينهما.

ـ من الواضح أن ديلما خائفة من ذلك.

ـ إنها تشعر بعدم الأمان. ولكن لم بحق الله نتكلم عن ديلما؟ فلنتكلم عنا نحن.

ونظر مباشرة في عينيها فغزا الاحمرار خديها: «أتذكرين عناقنا الليلة الماضية؟».

في الواقع، لن تستطيع أن تنسى ذلك.

ـ هل حلمت بي؟

تنهدت بنعومة: «لقد شعرت أنك بجانبي إلى أن أغمضت عينيّ».

ـ وبعد ذلك؟

ـ بعد ذلك غطيت في نوم عميق.

ـ إذاً ما كنت لتسمعيني لو جئت وقرعت بابك؟

وأمسك يدها، ضاغطاً شفتيه عليها: «أنا حلمت بك».

ـ أظنني بحاجة إلى حماية عندما أكون معك.

ـ وهل أنا خطير؟

ـ أعرف أنك قادر على أسر أي امرأة.

ـ وهل تخشين الوقوع في حبي؟

ـ نعم.

قالت ذلك بشغف أذهلها: «لقد سيطرت على مشاعري في وقت قصير جداً. أنت أحياناً تتصرف بـ...».

ـ بتملّك؟

ـ نعم.

وفجأة ترقرقت الدموع في عينيها. فنظر إليها بغضب وتعاطف في الوقت نفسه: «أدرك أن ديلما أغضبتك ولكن لا تفعلي هذا. لا يمكنني رؤية

دموعك من دون أن أضمّك إليّ. لم أكن أحاول إغواءك الليلة الماضية، إذا كان هذا ما يقلقك. لقد توقفت عن العبث منذ زمن بعيد».

مسحت دموعها بقفا يدها: «أنا آسفة. أعترف بأنني مشوشة ولكن أموراً كثيرة تنهال عليّ دفعة واحدة، لانغ. إنني أحاول التكيّف مع علاقتي بأبي. لم أحظَ بأب خلال السنوات الأربع والعشرين الماضية. من الرائع أن نلتقي أنا وأبي وينسجم أحدنا مع الآخر، كذلك الأمر بالنسبة إلى روبي. ولكن روبي مجرد طفل أمّا أبي فرجل راشد وقوي وفي عمق أعماقه رجل معقّد جداً وقد عاش الحياة بطولها وعرضها في الماضي. أقلّه من الناحية العاطفية».

ـ أتعنين أنه بقي مغرماً بامرأة موجودة فقط في ذاكرته؟

أومأت إيدن وقد عجزت لحظة عن الكلام ثم قالت: «هناك بيت من الشعر يتحدث عن مثل هذه الحالة فيقول: ما الحب إلاّ للحبيب الأول. هذا ما حدث لأبي، إلا أنه خسر المرأة التي أحب».

ـ تباً لي إذا خسرت المرأة التي أحب.

ـ هذا أنت، وهذه شخصيتك. أما أبي فقد ضيّع حياته في حلم، وهذا أمر محزن. لا أستغرب لماذا تشعر ديلما بعدم الأمان. في الواقع، أنا أتعاطف معها إلى درجة ما. أبي ليس زوجاً شغوفاً، أليس كذلك؟ ثم هناك أنت.

استدار لانغ لينظر إليها: «كنت أعرف أن دوري في الانتقاد سيحين. تجعلين لقاءك بي يبدو وكأنك غارقة في النار».

ـ نعم النار، إنها تشبيه جيد. أنا بحاجة إلى الوقت لانغ. أنا معتادة على الهدوء ولا يمكنني الانجراف وراء مشاعري. وأنت تتخطى الحدود التي اعتدتُ عليها.

ـ أتعنين ما جرى بيننا البارحة؟

ـ نعم.

أمسك خصلة من شعرها ليدسّها وراء أذنها: «أفهمك تماماً. فأنت تشعرين بالاضطراب، كما أنك محقة بشأن ديلما. لكن لا تظني أنني لست إلى جانبك. ديلما تشعر أنك تنافسينها على حب أوين، ولا يمكنك أن تحلّي هذه المشكلة مهما فعلت، ولا أنا أيضاً. الشخص الوحيد الذي يمكن أن يهدىء ديلما هو أوين. ديلما زوجته وسوف تسدي نفسها خدمة كبيرة إذا ما توقفت عن الصراخ طيلة الوقت. أمّا بالنسبة لنا نحن الإثنين، فلا أريد أن أضغط عليك إيدن. ما أشعر به نحوك يتخطى حدود الرغبة العابرة، إذا كان هذا ما تخشينه».

أدارت إيدن رأسها لتنظر إليه. بدا لها في غاية الوسامة والحيوية والأناقة في قميصه الرمادي وبنطلونه الجينز. أما شعره الذي شعثه الهواء مثل شعرها فقد تدلّت منه خصلة على جبينه. عليها أن تعترف بأنها تحبه. إنه أول حب في حياتها!

ـ أنا آسفة إذا كنتُ انفعالية معك، ولكنني أشعر بالارتباك والخطر معاً.

ـ أنت تجدينني جذاباً بقدر ما أجدك أنا، ولكنك خائفة من الانجراف. لا بأس، فإنشاء علاقة جادة أمر مهم وخطير للغاية. لا يمكنك الإقدام عليه إذا كنت عازمة على إبقاء مسافة بينك وبين الناس، وهذا ما فعلته في حياتي.

ـ ولكنك لست متملكاً مثل أبي، ولا تتبع طريقته. ثم إنك فعلت ما فعلته من أجل عائلتك.

ـ لم يكن بمقدوري أن أدع أمي تتعذب. خسارة أبي كانت كارثة بالنسبة لنا، ولم يكن باستطاعتي القيام بشيء حيال ذلك. أما خسارة ماريللا فكانت نكسة أيضاً، ولكنني تمكنت من استعادتها.

ـ هذا هو الحب. لا بد أن أمك فخورة جداً بك.

ـ نعم وهي تُظهر ذلك لكل من يستمع إليها. أنا من عائلة مُحبّة. وهذه بداية جيدة، أليس كذلك؟

ـ أظنها الأفضل.

دنا منها متعاطفاً ونكش شعرها كما يفعل مع روبي: «اهدأي إيدن. يمكننا أن نتريث قليلاً. إنها مرحلة صعبة بالنسبة لك، ويسرّني أن ألعب دور الأخ الأكبر».

بدأت تبتسم: «وكأن ذلك ممكن!».

ـ ألا تثقين بي؟ حسناً.. أنت على حق. لقد جرت الأمور بسرعة جداً، حتى بالنسبة لي.

أومأت موافقة ولكن جزءاً منها كان يناقض الآخر: «لا أظنني أريد الدخول لتناول الفطور».

ـ لا تخافي، لن يزعجك أحد. ثم إنني جائع، تعالي نتناول طعامنا على الشرفة. وإذا كنت ترغبين بالهروب لبضعة أيام أو لأسبوع، يمكنك زيارة ماريللا. الآن، وقد انتهت الحفلة، يمكنك أن تتوقعي اتصالاً من أمي.

أضاء السرور وجه إيدن: «هذا لطف منها».

ـ بالمناسبة هل تجيدين ركوب الخيل؟

أومأت متحمّسة وعيناها تنضحان سروراً: «من حسن حظي أنني تعلمت ركوب الخيل قبل أن أتعلم المشي. أمي وجدي كانا يحبان ممارسة هذه الهواية للاسترخاء. كلاهما كان يصطحبني معه».

ـ يبدو أن الحنين يعود إليك.

بقي لانغ ممسكاً بيدها وهما يجتازان الحديقة الخضراء، عائدين إلى المنزل. فتنهدت إيدن بحسرة: «كانت تلك أجمل لحظات حياتي».

ـ إذاً لا شك أنك ستحبين ماريللا. سوف أتكلم مع أوين، وسترين أن ذلك سيسعده.

البحر أزرق والشمس ساطعة والسماء صافية ليس فيها أي أثر للغيم.

وكان الهواء يتلاعب بشراع المركب الذي تمدّد لانغ وإيدن على متنه تحت أشعة الشمس. حتى من خلف النظارات الشمسية، كان باستطاعة إيدن أن ترى لانغ بوضوح. كانت تشعر به بكل حواسها على الرغم مما اتفقا عليه بشأن التريث في علاقتهما. بدا جسمه رائعاً كأجسام الرياضيين، منكباه عريضان وخصره نحيل. وبدا أنيقاً حتى في سرواله القصير.

كان والدها يوجّه المركب ببراعة، فيما كانت ديلما منهمكة مع روبي في تحضير الغداء.

رفع لانغ نفسه على مرفقه، محدّقاً إليها: «كيف الحال؟».

كانت محقة عندما قالت له إن بشرتها البيضاء لا تسمرّ ولا تحترق، فقد بدت أشبه بالبورسلين المشعّ.

تنفست بعمق وهي ترفع نظاراتها عن عينيها وتبتسم له: «أليس هذا رائعاً؟ أشعر بالسكينة».

ليس تماماً، طالما أن كافة أفكارها تشمله.

ـ هل تودّين الذهاب إلى إحدى تلك الجزر المرجانية؟

ـ نعم، أودّ ذلك. ما رأيك بتلك الجزيرة الصغيرة هناك؟

أشارت إلى الجزيرة المرجانية الأقرب في المنطقة وكانت أشجار النخيل والبرتقال ترتفع فيها من كل حدب وصوب. سألته وهي تفكر في أسراب الطيور البحرية والسلاحف: «هل الذهاب إلى هناك مسموح؟».

ـ طبعاً. أعرف هذه المنطقة جيداً. سأتكلم مع أوين لكي نزور الجزيرة المرجانية. روبي أيضاً سيفرح بذلك.

وبينما هو يتكلم، نظر إلى الخلف، ملوّحاً لديلما: «يبدو أن الغداء جاهز».

نهض ومدّ لها يده ليساعدها. بدت رائعة الجمال في ثوب السباحة الذي ارتدته. حين كانا مستلقيين شعر لانغ برغبة في الاقتراب منها ليلامس

بشرتها العطرة التي امتزجت بها رائحة البحر، ولكنه لم يكن ليمسّها. سيعاملها كنسيبة له، مع أنه يعلم أن ذلك سيكون في غاية الصعوبة. عندما نهضت، نظرت مطوّلاً في عينيه، فانقبض قلبه لتلك النظرة التي بدت أشبه بالتوسّل. إن أي رجل لا يستطيع السيطرة على نفسه أمام هذا الجمال!

كان الغداء لذيذاً. فقد تناولوا السرطان الطازج والرقائق والكركند والقريدس بالإضافة إلى الأفوكادو على شكل سلطة لم تتذوق إيدن أطيب منها من قبل.

في البداية، رفضت ديلما مرافقتهم إلى الجزيرة المرجانية، لأنها رأتها من قبل. ولكن روبي أصرّ على أن تأتي معهم.

راح لانغ يجذّف عبر المياه النقية كالبلور، فيما راحت إيدن تراقب عضلاته تتحرك تحت بشرته الذهبية، بذهول ودهشة. وعندما اقتربوا من الشاطىء، غطست في المياه الصافية اللمّاعة وقلبها يخفق جذلاً وراحت تسبح نحو الشاطىء.

ـ إيدن! إيدن!

سمعت روبي يناديها فرحاً، فتوقفت ونظرت إليه، وإذا به يقفز في الماء خلفها. كانت تعرف أنه يجيد السباحة فقد أخبرتها ديلما بكل فخر أن روبي هو أفضل السبّاحين في صفّه.

عندما اقتربا من الشاطىء، حلّقت أسراب الطيور خافقة بأجنحتها. لم ترَ إيدن في حياتها عرضاً بهذه الروعة. يداً بيد، وطأت مع روبي رمال الجزيرة المرجانية، التي بدت بيضاء نقية كأشعة الشمس المشرقة.

سألها روبي: «هل تظنين أننا قد نجد كنزاً؟ قد يكون هناك، خلف تلك الأشجار الفضية اللون. أتعرفين ما اسمها؟».

ـ لا. ليتك تخبرني.

نفضت إيدن شعرها الطويل الرطب إلى الخلف، مسرورة بانتعاش جسمها بعد السباحة.

ـ إنها أشجار الحور، على ما أظن.

استدارت إيدن عندما وصل الجميع إلى الشاطىء. ولم يفاجئها أن ترى ديلما تتجه مباشرة نحو ابنها لتصرخ به قائلة: «إيّاك أن تفعل هذا مجدداً روبيرتو. كان من الممكن أن تدوس على شيء جارح في الماء».

سألها روبي وقد بدا مثل أبيه عندما يتغير مزاجه: «مثل ماذا؟».

ـ مثل قطعة مرجان.

أجاب روبي بذكاء: «لكن، ما من حيد بحري في هذه المنطقة».

لكن ديلما أصرّت قائلة: «كان يمكن أن تدوس على صخرة مسنّنة».

ـ إنه محق ديلما.

حاولت إيدن أن تتكلم بهدوء، مع أن ما تريده فعلاً هو التنفيس عن غضبها: «كما أنه سبّاح ماهر».

وابتسمت للصبي الصغير. لكن ديلما انحنت على ابنها لتحدق إلى وجهه غاضبة: «أرجوك إيدن. لا تحاولي المزايدة عليّ. أعرف مصلحة ابني».

ـ لا، لا تعرفين.

هذه المرة، كان روبي هو من تكلّم وقد ضاق ذرعاً من تملّك أمه.

ـ هل كل شيء على ما يرام هنا؟

سأل أوين ذلك وهو يتقدم منهم بهدوء، فيما كان لانغ يجرّ القارب إلى الشاطىء. فأجابت إيدن بهدوء تام: «كل شيء على ما يرام. أتحرّق شوقاً لاستكشاف الجزيرة. روبي يظن أنه قد يجد كنزاً هنا».

ضحك والده: «قد يكون هناك كنز فعلاً».

في الواقع كان أوين ينوي أن يلفّ بعض النقود في منديل ثم يضعه في مكان ما بحيث يستطيع ابنه إيجادها.

حذّرته ديلما عابسة: «لا تبتعد كثيراً».

ـ بحق الله ديلما! ألا تتوقفين أبداً؟

ورمق أوين زوجته بنظرة غضب: «لا شيء على هذه الجزيرة يمكن أن يؤذي أحداً. لقد قصدنا آلاف الجزر كهذه من قبل».

انتظر روبي قليلاً ريثما ينضم إليهم لانغ: «هيا بنا! لنذهب إلى تلك الأشجار. أبي يظن أننا قد نجد كنزاً».

ـ اذهبوا أنتم.

قال أوين ذلك وأمسك يد زوجته، ليتجها معاً نحو الظلال: «أنا وديلما سوف نرتاح قليلاً هنا».

أرادهم أن يذهبوا لكي يتمكن من إخفاء النقود. أمضى الثلاثة وقتاً رائعاً في استكشاف الجزيرة المرجانية.

وعدها لانغ وعيناه تنضحان حباً: «يوماً ما، سنعود أنا وأنت وحدنا إلى هنا».

ـ تعجبني الفكرة.

لا يزال أمامها الكثير لتكتشفه! لم تعرف إيدن في حياتها رجلاً يذيبها بنظرة مثل لانغ. سارا معاً، ويداً بيد عندما كان روبي يسبقهما. راح لانغ يدلّها على كل ما يراه ويشرح لها، بينما هي تنظر ذاهلة. بعض الأشجار بلغت ارتفاعاً فارهاً في الهواء. وفيما كانت تنظر إلى إحداها، كادت تتعثر وتقع، فإذا بلانغ يسندها بجسمه القوي. في الواقع، بعض تصرفاته ونظراته لم تكن أخوية على الإطلاق.

بالطبع، وجد روبي كنزه. وارتمى في حضن أبيه، مخبراً إيّاه عن اكتشافه. ابتسمت ديلما لهم حين وصلوا، لكن بدا لإيدن أن والدها كان يتجادل مع زوجته.

يبدو أن الذهاب إلى ماريللا داونز فكرة جيدة في الوقت الراهن!

٩ ـ معجزة . . اسمها الحب

مضى على وجود إيدن في ماريللا داونز ثلاثة أيام وقد تمّ استقبالها بحفاوة من قبل عائلة لانغ. وسرعان ما وجدت أن تلك المنطقة عالم آخر بسهولها الشاسعة الممتدة على مساحات لا تنتهي، حتى حدود الصحراء الرملية الكبيرة.

أخذ لانغ إيدن إلى منزله بواسطة طائرة الشركة. وكانت الرحلة جيدة وخالية من أي حوادث ولكن المناظر تغيرت كلياً على إيدن، فقد تحولت من الأخضر الرائع في الشرق إلى أرض جافة قاحلة وشاسعة.

في الغد ستعود إلى منزل أبيها. لقد تحسنت علاقتها بديلما بشكل ملحوظ بعد تلك الرحلة إلى الجزيرة، ولكن إيدن تعرف أنهما لن تكونا صديقتين أبداً. فديلما لن تتخلى أبداً عن سلطتها.

أما والدة لانغ فقد كانت امرأة ودودة لطيفة وظريفة أيضاً. لقد تركت بربارا فورسايت أثراً طيباً في نفس إيدن التي وجدت قواسم مشتركة عديدة مع المرأة الأكبر سناً، وارتاحت إليها فراحت تكلمها عن أمور كثيرة لم تعبّر عنها أمام أحد من قبل، بما في ذلك أمها. وكانت جورجيا، شقيقة لانغ، تشاطر أمها هذه الطبيعة الودودة الدافئة. فالصداقة التي قدّمتاها لإيدن أثرت بها في العمق وأفرحت قلبها الحزين.

وفي لانغ بوعده وحرص على أن يقوما بأمور كثيرة معاً، كركوب الخيل في الصباح الباكر أو في فترة ما بعد الظهر وزيارة المعالم الطبيعية الكثيرة.

افتتانها بما رأت جعلها تبدل رأيها بالبيئة البرية القاسية. فوجدت جمالها مختلفاً عن جمال المناطق الاستوائية.

في اليوم الأخير، قرر لانغ أن يصطحبها إلى «أفضل ما يمكن لماريللا أن تقدمه».

قالت لها جورجيا أثناء تناول الفطور: «لقد احتفظ بذلك حتى النهاية. سوف تُسحرين».

ـ هل لي أن أعرف ما هو؟

ـ هذه مفاجأة.

قال لها لانغ ذلك ثم استدار نحو غرايس، مدبرة المنزل ليطلب منها المزيد من القهوة.

أول ما لاحظته إيدن عند لقائها عائلة لانغ هو أن بربارا وجورجيا شقراوان، خضراوا العينين وممشوقتا القامة. وكانتا تقومان بأعمال خارجية في الأرض، في حين أن براد، زوج جورجيا الجذاب الأشقر يهتم بأمر الإدارة.

كانت إيدن في غرفة الضيوف المريحة تغير الفستان القطني الذي ارتدته عند الفطور، عندما دخلت بربارا غرفتها: «إيدن عزيزتي. عليّ أن أخبرك بأن لدينا زائرة غير متوقعة».

ـ لا تبدين سعيدة بهذه الزائرة.

ـ لا يمكنني أن أقول إنها فاجأتني، ففي الواقع، لارا تظهر في المنزل في كل مرة يأتي فيها لانغ إلى هنا.

ـ لارا تلك؟

شعرت إيدن بشيء من الانزعاج، فعطلتها حتى الآن كانت ممتازة.

ـ لارا تلك.

ورفعت بربارا يدها إلى جبينها منزعجة: «إنها مجرد زيارة خاطفة».

ـ هل تعلم أنني هنا؟

ـ ما رأيك أنت؟

ـ لا بد أن ديلما أخبرتها. إنهما مقرّبتان جداً.

ـ حسناً... لا تقلقي. جورجيا مشغولة ولكن بإمكاني البقاء مع لارا بينما تقصدان الوادي... آه، آسفة لم يكن عليّ إخبارك.

ـ لا بأس. لن أخبر أحداً. أنا واثقة من أن لارا ستودّ مرافقتنا.

ـ اسمعي، هذه عطلتك أنت وأنا أكيدة من أنك لا تريدينها أن تذهب معكما.

ـ لا.

ـ إذاً من الأفضل أن تسرعي. يمكن للارا أن تحشر نفسها حيث لا يستطيع النمل ذلك.

ـ أنا جاهزة.

ـ سأقول للارا إنكما ستعودان عند الغداء. لا أحب أن أكون فظة...

ـ وكأنك تستطيعين ذلك.

وجدتا لارا جالسة في غرفة تطلق عليها العائلة اسم «غرفة الرسم القديمة». كانت تتأمل بتجهّم لوحة طبيعية رائعة.

ـ أنا آسفة جداً، لارا.

اعتذرت بربارا عن غيابها المؤقت، مبتسمة: «هذه إيدن».

ـ كيف حالك لارا؟

تكلمت إيدن بإشراق: «لم أتوقع رؤيتك».

ودّت لو تحمّل لهجتها شيئاً من السخرية لكنها لم تفعل.

قالت لارا وهي تتفحص إيدن من رأسها حتى أخمص قدميها: «مررت فقط لألقي التحية».

سألت بربارا: «كان لانغ هنا. ماذا حلّ به؟».

فأجابتها لارا: «إنه في الخارج يتكلم مع براد».

ثم حوّلت انتباهها إلى إيدن: «هل تستمتعين بوقتك إيدن؟».

ـ لقد أمضيت وقتاً رائعاً.

ولمست ذراع بربارا برقة وقد أشرق وجهها: «بربارا والعائلة جعلوني أشعر بأنني في منزلي».

ـ ولكنك لم تحظي يوماً بمنزل حقيقي. أليس كذلك؟

سألت لارا ذلك، متظاهرة بالتعاطف، ولكن بربارا تدخلت غاضبة:

ـ كيف يمكنك قول ذلك يا لارا؟ هذا ليس صحيحاً.

تحولت لهجة لارا إلى الاعتذار: «أنت تعرفين قصدي. ديلما أخبرتني كل شيء. الأمر لم يكن سهلاً عليك إيدن».

ـ لم أكن أعلم أن ديلما تعرف كل شيء، فأنا حتماً لم أخبرها. على أي حال، لا أريد التكلم عن هذا الآن. فأنا أتطلع شوقاً لما سنفعله اليوم.

لم تحاول لارا أن تخفي فضولها وهي تسألها: «إلى أين تذهبان؟».

ـ لا أعرف تماماً. إنها مفاجأة.

ـ آه، أنا أحب المفاجآت! أنا واثقة من أن بإمكانكما اصطحابي. كنت أقول للانغ إنني أودّ الذهاب في جولة على الخيل. لقد مرَّ زمن طويل منذ قمنا بذلك. آه، انظروا من أتى!

أشرق وجه لارا وكأن شعاع شمس لمسه، عندما دخل لانغ الغرفة، وسيماً كعادته في قميصه المفتوح وبنطلونه الجينز.

ـ علينا أن نذهب إيدن، إذا كنا ننوي العودة لتناول الغداء. آمل أن تبقي حتى ذلك الحين لارا.

ـ في الواقع كنت آمل مرافقتكما.

ـ في مناسبة أخرى، فلا أظنك ترغبين بالذهاب إلى حيث سنذهب الآن.

قال لها لانغ ذلك مؤكداً وقد أمسك بذراع إيدن استعداداً للمغادرة:

- بربارا ستبقى بمفردها، وأظن أنها ستفرح لو بقيت معها.

كادت الدموع تنهمر من عيني لارا وهي تسألهما: «إلى أين ستذهبان؟ قولا لي الحقيقة».

- الحقيقة هي دائماً الأفضل ولكن هذه المرة سأحتفظ بالسر.

- كفى! هيا قولا لي.

- الحياة مليئة بالأمور المحبطة.

- يبدو أنه أمر قد يروقني.

هذه المرة تدخلت بربارا، شارحة: «في الواقع، إنها المرة الأولى التي تقصد فيها إيدن ذلك المكان. وسوف تأخذ انطباعاً أفضل لو اصطحبها لانغ وحدها».

- هل أنتما ذاهبان إلى المغاور؟

- لا، ليس إلى المغاور.

أجابها لانغ ثم حوّل انتباهه إلى أمّه: «قلت لبراد أن يُعلم جورجيا بحضور لارا. بإمكانكن أن تتناولن الشاي وتطّلعن على آخر الأخبار».

أجابت بربارا برقة: «شكراً حبيبي. استمتعا بوقتكما».

حيّاها لانغ بشكل مسرحي وهو يقول لها: «سنعود عند الغداء. ليكن جاهزاً عند الساعة الواحدة... أو الواحدة والنصف».

عندما ابتعدا عن المنزل، قالت إيدن: «أظن أنك كنت قاسياً».

- وهل كنت تفضلين لو دعوتها لمرافقتنا؟

تنهدت إيدن: «لقد أحزنتني، لست أدري لماذا. تظن أنها مغرمة بك».

- كنت أفضل لو قلت إنك من وقع في حبي.

لقد مضت فترة لم تسمع فيها إيدن تلك اللهجة المغرية في صوته، فقد وفى بوعده وبقي بعيداً عنها. المشكلة الوحيدة التي واجهتها إيدن هي أنها

لا تستطيع أن تكون لحظة بقربه من دون أن تشعر بالارتباك.

قالت متجنبة تعليقه: «لقد غادرنا وتركناها مع بربارا».

فأجابها بتسلية: «لا تقلقي. أمي تجيد التعامل مع أوضاع مماثلة».

استدارت نحوه لتحدق إلى وجهه الوسيم: «أي أوضاع؟ عودة الصديقات السابقات؟».

- هذا يحدث دائماً.

- يبدو أنهنّ كثيرات.

- ولكن لا يمكن مقارنتهنّ بك. لارا كانت صديقتي ولكنني لم أحبها يوماً ولم أطلب منها الزواج. كل ما في الأمر أننا أمضينا أوقاتاً طيبة معاً.

- لا أستغرب ذلك.

- إلى أن التقيت بك.

انقبض قلبها فذكرته قائلة: «أنت الآن أخي الأكبر. أتذكر؟».

- أظنني أحسنت الاعتناء بك. في الواقع، أصبحنا عائلة واحدة تقريباً.

- لقد أحببتُ عائلتك.

- وهم يظنون أيضاً أنك مميزة.

- لم أتكلم في حياتي عن أمور عميقة كما تكلمت مع أمك. كنت دائماً أعتقد أن أمي حساسة جداً. وإذا قلت لها ما يؤذيها، فسوف ينطبع ذلك جرحاً على بشرتها البيضاء.

- أنا آسف إيدن. ليتني عرفتك وأنت صغيرة. أحياناً أتخيلك فتاة صغيرة، ناعمة، رقيقة وحساسة جداً.

- سوف تنتهي عطلتي غداً.

- لا تحزني هكذا. يمكنك أن تأتي مجدداً متى شئت.

- عليّ العودة إلى دياري. قد يحتاجني جدي.

ـ جدك عقّد حياته. ويبدو لي أنه من الأفضل له أن يتصالح مع أوين.

حدقت إليه إيدن، ذاهلة: «يا لها من فكرة رائعة!».

ـ لا بد أن جدك يشعر بالذنب والإحباط. ظن أنه كان يفعل الصواب حينذاك. لكن الجميع تعذب بسبب قراره. أمك، أبوك، الرجل الذي ربّاك وجدك، وبشكل خاص أنت. فأنت كنت الضحية البريئة.

ـ أبي يكره جدي ويلومه على التعاسة التي سببها له ولأمي.

ـ لكن هذا ليس صحيحاً. لا أتخيلك تتزوجين رجلاً لا تحبينه مع أن الزمن تغيّر.

ـ طبعاً. كل شيء تغير، حتى نحن. قلة من الناس يمكنهم أن يكونوا طيبين مع الجميع مثل أمك.

ـ صحيح. لقد تخطت أمي إحباطها بعد موت أبي، فقد كانت تلك محنة مؤلمة خرجت منها بقوة. أنا فخور بها وبأختي أيضاً.

ـ وهما أيضاً فخورتان بك. أنا لم أحظَ بعائلة كهذه.

ـ لكنك ستحظين بها. ستتزوجين وتنجبين الأولاد.

ـ آمل ذلك.

ـ في الواقع، عليك أن تفكري بالزواج في الحال.

قال ذلك وعيناه اللعوبتان تبحثان عن عينيها: «أظن أن سن الرابعة والعشرين مناسب جداً بالنسبة إلى المرأة».

ـ والثانية والثلاثون مناسب للرجل أليس كذلك؟ أظنك انغمست كثيراً في حماقات الشباب.

ـ حتماً لا. كنت مشغولاً بإعادة إحياء ماضي عائلتي.

كانت المفاجأة على مسافة عشرة أميال تقريباً من المنزل وهي عبارة عن ممر ضيق يُحيط به من الجانبين منحدران صخريان شاهقان يمر بينهما

مجرى مائي ضحل عرضه ثلاثون قدماً. شقّا طريقهما عبر المدخل الطبيعي الرائع وكانت إيدن تحدق حولها مذهولة. هذه ظاهرة أخرى من ظواهر البراري! أرض خصبة وسط الصحراء الجافة. كان الجو في الوادي أكثر برودة مما هو عليه في الصحراء. ولم تستطع إيدن أن تقاوم فكرة غسل وجهها ويديها في المجرى المائي النقي، غير عابئة بالماء الذي بلّل حذاءها وأطراف بنطلونها.

ـ كم هذا منعش! إنه مكان مذهل. شكراً لأنك أحضرتني إلى هنا.

ـ يسرّني أنه أعجبك. خذي، هذه قبعتك.

وضعت القبعة على رأسها وبدت بشعرها المربوط أشبه بتلميذة مدرسة. قالت بمرح وبراءة فتاة صغيرة: «طالما أنت هنا، لا أستطيع نزعها». تأملها وهي تسير أمامه بخطى خفيفة وثابتة. وكانت تتلمس الصخر بيدها بين الحين والآخر، متعجبة من طراوته حيناً وقساوته أحياناً أخرى. فشرح لها، متخذاً مجدداً دور الأخ الأكبر: «هذه الصخور تحتوي على الكوارتز وغيره من المعادن».

وعندما أصبحت الأرض وعرة، ترددت قليلاً ثم لجأت إليه: «عليك أن تساعدني هنا، ربما لا يجدر بنا أن نسلك هذا الطريق؟».

أسرع قليلاً ليوافيها: «تمسكي بي».

كان يتأملها وهي تسير أمامه، مبتهجاً، ما جعله يتأخر عنها. وكان بذلك يحاول أيضاً لجم المشاعر التي تملكته للاقتراب منها. زيارتها كانت صعبة عليه، والأصعب من ذلك هو لعب دور الأخ الأكبر. ما إن وضع يديه حول خصرها، لم يستطع نزعهما عنه. غير أنها أدهشته، فقد دنت منه وتسمّرت عيناها البنفسجيتان عليه وانزلقت يداها على كتفيه ثم قالت معترفةً: «لا أفهم شيئاً مما يجري لي. لقد أردت بقوة أن أكون هنا معك ولكن ذلك أشبه بعقاب لي».

أدرك لانغ ما تشعر به تماماً، فقد كان شعوره مماثلاً لكنه قال:

ـ نعم. ولكن لا تبدأي ما لست قادرة على إنهائه. ألست تلك الفتاة التي قالت لي إنها ليست مستعدة بعد للانضمام إلى عالم الراشدين؟

بدا هذا الردّ لإيدن صداً يخطف الأنفاس: «حسناً، فهمت».

وشعرت بإهانة عميقة، فسألته: «ألهذا علاقة بظهور لارا؟».

ـ أنت لا تفهمين شيئاً.

بقيت لحظة أخرى من دون حراك ثم قالت بهدوء: «تباً لك».

وقبل أن يتمكن من إيقافها، كانت قد قفزت عن الصخرة التي تقف عليها إلى صخرة أخرى بسرعة كبيرة، لتفلت منه.

ـ إيدن!

ناداها قلقاً فتردد صدى صوته في الوادي. ها هي ذي تخاطر بإصابة في كاحلها. وما هي سوى لحظات حتى تعثرت، كما كان يخشى، وسقطت أرضاً. شعر وكأنه هو من سقط أرضاً: «تباً يا إيدن!».

وراح يتنقل بسهولة وخبرة على الصخور إلى أن وصل إليها: «ألا يمكنك أن تفعلي شيئاً من دون أن تتأذي؟».

ـ لا أظن ذلك.

حرصت على ألاّ تنهض من مكانها، رغم أنها لم تشعر سوى برضّة بسيطة. فجثم لانغ بجانبها على الأرض وراح يحدق إليها: «إنها لمعجزة أن تتمكني من التنفس بعد هذه السقطة. هل تشعرين بألم في ظهرك؟ الرمل يغطي قميصك كله».

وراح ينفض الرمل عنها. كان خائفاً من أن يلمسها، فلو فعل، لن يستطيع التوقف. أدارها بلطف على بطنها، لكي يتحسس ظهرها. عبقت

خياشيمه بالعطر الذي انبعث من بشرتها، كمزج أزهار ذكي الرائحة، أنثوي النكهة، مثير للحواس.

تمددت من دون حراك ولكنها كانت ترتجف وقلبها ينبض بسرعة في الرمل. لم يلمسها بعد ومع ذلك شعرت بأنها قد تغيب عن الوعي بسبب قوة المشاعر التي انتابتها. وعندما لمسها، جاءت لمسته رقيقة لطيفة ولكنها تركت أثراً حارقاً على بشرتها فأجفلت قليلاً.

ـ هل أنت بخير؟

ـ نعم.

أجابت بذلك وهي تعرف أن إصابتها كان يمكن أن تكون أسوأ بكثير.

ـ هل يمكنك أن تأخذي نفساً عميقاً؟

ـ نعم بالطبع.

أبعد يديه عن ظهرها قائلاً: «الأمور الجيدة هي التي تنتهي بشكل جيد».

جلست إيدن لكنها لم تنظر إليه، فنظرة واحدة إلى عينيه الفضيتين يمكن أن تجعلها تسقط مجدداً. ساعدها لانغ على النهوض وقد لاحظ أنها حريصة على عدم التشبث به، وأنها تنظر شاردة إلى الرمل المتلألىء.

لكنه لم يستطع أن يحتمل أكثر.

ـ تعالي إلى هنا.

وجذبها نحوه بقوة: «هل تعرفين كم أرغب بك؟».

ـ نعم.

ـ نحن هنا وحدنا ولو كانت نيتي سيئة لاستطعت إغواءك، ولكن أريدك أن تعلمي أن شعوري نحوك أعمق من هذا بكثير.

هذه فرصتها لتقول له إنها تحبه، ولكنها لجمت لسانها. عليهما العودة إلى المنزل ولو قالت له ذلك الآن، فلن تستطيع إخفاء الأمر عن الآخرين.

دنا منها أكثر وعانقها بقوة، محوّلاً شغفه حيالها إلى نوع من الحنان والحماية. وراحت يداه تداعبان شعرها.

تشبثت إيدن به أكثر وهو يهمس في أذنها مراراً وتكراراً: «أنت رائعة».

ـ لا يمكن أن نستمر هكذا.

قال ذلك ويداه لا تزالان تجولان على كتفيها وشعرها.. تحرقانها. وكانت هي تستجيب لكل لمسة من لمساته، فكيف يمكنه التوقف؟

فجأة، أتت المساعدة من مكان آخر، وكأنهما يعيشان قصة خرافية. في البداية لم يصدق لانغ عينيه. كان واقفاً وإيدن بين ذراعيه عندما شعر بحركة عند مدخل المضيق. ضاقت عيناه وتوتر جسمه عندما تذكر أن هناك كلاباً ضارية في ذلك المكان. قال هامساً لكي لا يجفل إيدن أو الدخيل الرائع الذي رآه: «لا تتحركي. أنظري في اتجاه المدخل».

رفعت إيدن رأسها بهدوء وقد أحسّت بالرهبة في صوت لانغ، ولكنها سرعان ما شعرت بفرحة لا توصف عندما رأت حصاناً أبيض رائعاً يتجوّل في أسفل الوادي، وهو يبحث عن الماء على الأرجح. كان لون ذيله أبيض ناصعاً يلمع تحت أشعة الشمس ولم تكن إيدن قد رأت يوماً مثله.

أشبعت ناظريها من هذه الرؤية الغامضة وكأن هذا الحصان قد أُرسل إليهما خصيصاً في وقت كهذا. بدا هادئاً متقبلاً لوجودهما. وقفا مسمّرين ينظران إليه وهو يشرب من النهر. قالت إيدن بوجه يشع إشراقاً: «إنه أجمل ما رأيت في حياتي. من أين أتى؟».

ـ كم أودّ لو أعلم. براد لم يذكر لي شيئاً عنه. يبدو أنه أصيل.

ـ كل ما ينقصه هو قرن في مقدمة رأسه ليبدو حصاناً خرافياً.

ـ عيناه زرقاوان مثل عينيك.

ـ كم أودّ لو أمتطيه.

ـ وكم أودّ لو أراك عليه. ولكن ذلك سيكون سراباً.

عندما روى الحصان غليله، خرج من المضيق على مهل ثم اختفى خلف الأشجار. فسألته إيدن بعينين مشعتين: «هل توقف الزمن أم أنني أنا من يشعر بذلك؟».

ـ هل فكرت يوماً في أن الشغف هو نوع من المعجزات؟

وانحنى يعانقها مجدداً، فأجابته إيدن بشغف: «أعرف أنني سأتذكر هذا ما حييت».

www.elromancia.com

١٠ ـ لا تنظري إلى سواي

عندما سمع روبي بقصة الحصان الأبيض انخطفت أنفاسه، وتحمّس للحصول على حصان صغير خاص به، فقال لإيدن والإشراق في عينيه:

ـ أودّ كثيراً لو أتعلم ركوب الخيل.

كان عيد الميلاد قد أصبح وشيكاً والفرصة مؤاتية تماماً للحصول على هدية رائعة. لقد أخبرته إيدن الكثير عن مغامراتها على ظهر الحصان، ما جعله متشوقاً للحصول على حصان هو أيضاً. فوعدته إيدن بالتحدث بهذا الشأن مع والدهما في الصباح الباكر.

نادراً ما كانت ديلما تبقى في المنزل تلك الأيام، ولكن أثناء تواجدها، كانت تلمّح بلطف، إلى أن على إيدن أن تبدأ بالتفكير في إيجاد مكان خاص بها، ومن المستحسن أن يكون ذلك مع بداية السنة الجديدة. وكأن إيدن لم تفكر في هذا مرات ومرات. كانت ديلما تبدي ملاحظاتها تلك أثناء غياب أوين وروبي. وكما توقعت إيدن، علمت ديلما بكل تفاصيل زيارة لارا إلى ماريللا ومعاملة لانغ لها.

ـ كان الأمر حقاً مثل الصفعة. لقد غضبت لارا كثيراً. أعرف أن لانغ يمكن أن يكون أحياناً غير متعاون لكن هو ولارا مقرّبان جداً. لم يحدثك بهذا الأمر، أليس كذلك؟

كانوا يتناولون الفطور صباح يوم السبت عندما فتحت إيدن موضوع شراء حصان لروبي. وكان هذا الأخير يلكزها خلال الفطور ولكنها انتظرت الوقت المناسب.

وأخيراً قالت: «سيسرّني أن أعلّمه ركوب الخيل، إن كان ذلك يساعد».

ابتسم لها روبي سعيداً. ها هي أخته الكبرى، إيدن، التي تحل له كل مشاكله!

غير أن القلق كان يساور ديلما: «هذا لطف منك إيدن ولكن روبيرتو في السادسة من عمره فقط».

ـ قريباً أبلغ السابعة.

هتف روبي بذلك، كارهاً أن تتدخل أمه في كل مرة لتفسد مشاريعه:

ـ إيدن تعلمت ركوب الخيل قبل المشي.

ضحكت ديلما: «هذا ضرب من الذكاء ولكن لا يمكننا أن نربي حصاناً هنا. هذا تبذير للمال».

ـ ومنذ متى تهتمين لهذا؟

كان أوين يستمتع بهذا الصباح الجميل مع عائلته ولكنه رمى المنديل من يده: «أتظن أن بإمكانك أن تنتظر حتى عيد ميلادك يا روبي؟».

اتسعت عينا الصبي جذلاً: «بالطبع. هل أنت جاد أبي؟».

ـ ربما كان عليّ أن أفكر بالأمر قبل الآن.

قالت ديلما غاضبة: «روبي ابنك الوحيد. ورينك وليست إيدن. لقد اخترت أن تتجاهلها طيلة أكثر من عشرين عاماً».

نظر أوين إلى زوجته وقد شعر بأن الأوان قد حان لينطق بتلك المعلومة التي أخفاها طويلاً: «في الواقع عزيزتي، يسرّني أننا هنا جميعاً وبإمكاننا شرح الأمر. لقد طلبت من بلايك هاورد أن يكتب وصية جديدة».

استندت ديلما في كرسيها إلى الخلف، مصعوقة، تحدق إلى زوجها الذي تابع قائلاً: «بالطبع طرأت تغييرات على الوصية. إذا هدأتِ ديلما، يمكنك أن تسمعي».

تحول الجو فجأة في غرفة الطعام إلى ما يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة. ها هي المشكلة تقترب! إيدن تتفهم غضب ديلما ولهذا السبب قالت لوالدها إنه من المستحسن ألاّ يأتي على ذكرها إطلاقاً في الوصية. لقد تركت لها والدتها مدخولاً سنوياً بموجب وديعة، كما أن لديها المبلغ الذي قبضته من بيع المنزل في بريزبان. بالإضافة إلى أنها محامية ولديها عمل في شركة جدها.

كان أوين يتكلم لكن إيدن بالكاد سمعته. أمّا روبي الذي يحب دائماً أن يجلس بجانب أخته، فتوقف عن إطعام الهرة وأمسك بيد إيدن وهو ينظر بريبة في وجه أمه التي قالت: «لست جاداً أوين».

ـ بل أنا جاد، ديلما.

ـ لن أقبل بهذا.

ـ هذا شأنك. لست أدري لماذا تشعرين دائماً بأنك محرومة.

حدقت إليه ديلما غاضبة: «روبيرتو وريثك، فهو الذي سيحمل اسمك. إيدن ستتزوج خلال سنة تقريباً، فهي تسعى بما يكفي لتصطاد لانغ».

علقت تلك الكلمات في الهواء كالسحب السوداء. رفع روبي رأسه، لينظر حائراً إلى أخته: «ما معنى ذلك؟».

اقتربت منه إيدن وخفضت صوتها: «لا أفهم دائماً ما تقوله أمك روبي».

أومأ روبي وكأن ما قالته إيدن قد أقنعه.

ـ أنت تعرفين جيداً ما أعنيه.

هبت ديلما واقفة وقد بدت أنيقة للغاية بثوبها وشعرها وتبرجها رغم أن الساعة كانت لا تزال العاشرة: «لقد عرفت من مصدر موثوق ما تفعلينه».

لا يمكن أن تكون لارا. هذا فظيع!

أمرها أوين: «اجلسي ديلما. أكره قول ذلك، ولكنك أصبحت متعبة

جداً. لا شك أن لصديقتك لارا ضلعاً في هذا. من المستحيل أن تفعل إيدن ذلك، بل أظن أنهما وقعا في حب بعضهما منذ النظرة الأولى. وليس هناك ما يدعو للقلق. إذا حصل لي شيء ستعيشين أرملة ثرية. روبي سيحصل على ثروة ضخمة كما أنني سأوزع بعض الأموال على المؤسسات الخيرية. لا أريد أن أترك روبي من الثراء بحيث لا يفكر بالقيام بأي شيء في حياته. أنا واثق من أن كثرة المال يمكن أن تدمّر المرء أحياناً».

جلست ديلما مجدداً وهي تلهث كأنها كانت تشارك في سباق: «ولكنك ستترك كل شيء لإيدن؟».

ـ أبي...

حاولت إيدن أن تتدخل ولكنه أسكتها بإيماءة: «إذا بدا لك أنني فضّلتك على روبي، يا إيدن، فأنت مخطئة. مع أنه عليّ أن أعوّض الكثير مما فاتك».

ـ ماذا عنّي أنا؟

سألت ديلما ذلك وكأنها ستُرمى قريباً في الشارع، فانفجر بها أوين:

ـ بحق الله يا ديلما، لقد اكتشفت أنك تزوجتني من أجل أموالي فقط.

ـ لا. أنا أحبك.

ـ يصعب عليّ تصديق ذلك، حاولي فقط أن تقولي لبعض من أصدقائك إنني لم أنصفك في وصيتي وسوف ترين كيف سيضحكون ويسخرون منك. ثم عليك أن تتذكري أنني ما زلت في الأربعينات من عمري، ولا أنوي أن أموت قبل فترة طويلة.

عندما سمع روبي بموت أبيه، انفجر بالبكاء. وثبت ديلما كاللبوة نحو ابنها الذي راح يقاومها. فقالت له إيدن وهي تضغط على ذراعه مؤاسية:

ـ اسمع روبي. أبي كان يحاول أن يقول لنا إنه سيبقى دائماً هنا من أجلنا. سيعيش حتى يبلغ المئة عام.

ـ تعال إلى هنا، بنيّ.

ما إن سمع روبي ذلك، حتى هرع نحو أبيه ليجلس في حجره: «أحبك صغيري. لا تنسَ ذلك».

وعانقه بقوة: «أنت بنيّ».

هذا ما كان روبي يتوق إليه. فكرت إيدن بذلك وهي تنظر إليهما راضية.

ـ أنا أحبك أبي. أرجوك وافق على حصولي على الحصان.

ـ ظننت أن هذه المسألة محسومة. عندما تستيقظ في صباح عيدك السابع، سوف تجد تحت نافذة غرفتك حصاناً صغيراً يرعى الحشيش ريثما تنزل وتمتطيه.

صرخ روبي متحمساً: «أوه، هذا رائع!».

أمّا ديلما، فخبطت الكرسي بعنف وغزت النار وجنتيها لشدة الغضب والإذلال: «إنسَ أمري. أنا نكرة. أنا مجرد زوجة وأم».

بدا للحظة وكأن أوين يفكر في إعادة النظر في الوضع: «زوجة وأم رائعة».

للأسف، خرج ذلك من فم أوين كالتهكم مع أن هذا لم يكن في نيته. فاستدارت ديلما على عقبيها، خارجة من الغرفة كملكة خُلعت عن عرشها. فتوسلت إيدن أبيها: «اذهب إليها أبي. هذا الحديث عن الوصية أغضبها».

لكن أوين استند إلى الخلف معانقاً روبي: «حان الوقت لكي تُظهر زوجتي شيئاً من العاطفة، ناهيك عن التعقل».

لم يتبع أوين زوجته إلى الغرفة كما يفعل عادة، فاستشاطت ديلما غيظاً. وأخيراً فكرت في الاتصال بلانغ. ما فعله أوين قاسٍ وغير منصف. لِمَ لم يناقش معها أمر تعديل الوصية؟ لانغ سوف يتفهم مخاوفها حتى لو كان منجذباً نحو إيدن.

لحسن الحظ، أجاب لانغ على الهاتف لكنه قال لها إنه سيذهب للمشاركة في مباراة غولف دعاه إليها صديقه برونو، خلال نصف ساعة.

بدأت ديلما تشرح له الأمر بسرعة من وجهة نظرها الخاصة. هل علم لانغ أن أوين عدّل وصيته؟ هل علم بالغبن الذي طالها وطال روبيرتو؟ هل أدرك أن خلف وجه إيدن البريء الجميل، عقلاً ذكياً مدبّراً؟ لا شك أن إيدن تتلاعب بأبيها، وهي من دفعته لتعديل وصيته، بحيث تحصل على حصة الأسد. راحت ديلما تتكلم وكأنها في حاجة ماسة إلى المال.

أصغى إليها لانغ بصمت وهو يفكر في أن ديلما لا ترى أبعد من أنفها. وأخيراً قال لها إنه لا يصدق شيئاً من هذا، فقد أقنعت نفسها أن إيدن عدوة لعائلتها منذ أن دخلت حياتهم. لكنه يعرف أن إيدن مرتاحة مادياً. كان لانغ مقتنعاً بأن تسمية الأمور بأسمائها خير جواب. على ديلما أن تعيد التفكير بموقفها ولكن من الأفضل أن ترحل إيدن من هناك، فالوضع متأزم، وعيد الميلاد يقترب. ربما عليه أن يرسل بطاقة لديلما ليذكرها بهذا. تلك الليلة قرّر أن يتكلم جدياً مع إيدن، فهي قد غيرت حياتهم جميعاً بطريقة لم يحسبها أحد.

على الرغم من شجارهما، أصرّ أوين وديلما على حضور حفلة ما قبل عيد الميلاد التي يقيمها أصدقاؤهم آل كلارك راين. لقد واجهت علاقتهما مشاكل لا تعد ولا تحصى وكانا دائماً يضعان أمام الناس قناع الثنائي السعيد. وعلى الرغم من أن إيدن لم تكن في مزاج يسمح لها بحضور الحفلات، إلاّ أنها أرادت بقوة أن ترى لانغ.

عرفت من زيارتها إلى ماريللا أن لانغ يمضي دائماً عيد الميلاد مع عائلته، وهذا بالضبط ما يجب أن تكون الأمور عليه. غداً ستخبر والدها أنها تنوي قضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة مع جدها الذي بقيت على اتصال به.

عرفت إيدن أن أوين سيغضب وسيخيب أمله لقرارها هذا، وربما روبي أيضاً. لكنها أدركت في أعماقها أن هذا ما يجدر بها القيام به. وهكذا على الأقل، ستشعر ديلما بالارتياح، فهي وزوجها لا يمضيان أبداً عيد الميلاد بهدوء، إذ دائماً ما يكون في ضيافتهما بعض الأصدقاء وأولادهم.

فكرت إيدن بحزن أن هذه السنة ليست مؤاتية للحفلات بالنسبة إليها. ففي مثل هذا الوقت من السنة الماضية، كانت أمها بجانبها. ربما ستشعر في السنة المقبلة أنها بحال أفضل. من يدري؟ من المريع أن تفكر في أن لانغ قد لا يكون في حياتها. لا يستطيع أي منهما أن ينكر العاطفة الجياشة التي يشعران بها تجاه بعضهما البعض ولكن الحياة مليئة بالمتغيرات. لقد عاشت أمها حبًا كبيراً ولكنها لم تعش سعيدة بعد ذلك.

عندما وصل لانغ إلى البيت، قالت له مدبرة المنزل إن السيدة والسيد كارتر قد غادرا. أمّا إيدن فتنتظر في غرفة الجلوس. كانت ترتدي فستاناً أحمر جميلاً لم يره عليها من قبل، وتضع حول عنقها عقد الياقوت الذي أهداها إيّاه والقرطين الماسيين هدية والدها. علت وجهها ابتسامة ما إن رأته، لكنه يعرفها بما يكفي ليدرك أن الحزن يغمر قلبها. وشعر أنه أيضاً ليس في مزاج مناسب لحضور الحفلة، وهو كان يفضل أن يبقيا معاً بهدوء. اتصال ديلما أغضبه ولا بد أن موقفها قد أزعج إيدن أيضاً.

ـ تبدين جميلة.

وانحنى ليسلم عليها: «لم أرك في اللون الأحمر من قبل. إنه يناسبك».

ـ إنه عيد الميلاد. ديلما ترتدي الأخضر. لقد خرجا هي وأبي منذ قليل.

ـ أخبرتني ماريا. من الأفضل أن نذهب. أظن أن عاصفة ستهب الليلة.

ـ قد يفسد ذلك السهرة.

ـ لا تقلقي.

كانا قد خرجا بالسيارة من الطريق الخاص عندما تكلم لانغ مجدداً.

ـ تبدين محبطة.

هزت كتفيها بلا مبالاة: «أظنني كذلك».

ونظرت من النافذة إلى السحب السوداء المنذرة بهبوب العاصفة: «أبي أفسد كل شيء عندما قال إنه غيّر وصيته».

ـ لكن هذا متوقع. على أوين أن يعطيك نصيبك، فأنت ابنته أيضاً.

ـ نعم، ولكنني كنت أفضل لو أنه لم يشملني بوصيته.

ـ هذا سخيف إيدن، وأنت تعرفين ذلك. أنظري إلى الأمر بصفتك محامية. لن يكون ذلك عادلاً وسوف يفتح المجال للدعاوى القانونية.

ـ وكأنني قد أفعل شيئاً كهذا!

ردات فعل ديلما أغضبتها بحيث فقدت القدرة على تمالك أعصابها.

ـ هل تعنين بأنك ستسمحين لديلما بأن تأخذ كل شيء؟

ـ هي وروبي يمكنهما أن يحصلا على كل شيء. أنا لديّ كل ما أريده.

بدا نفاد الصبر عليه: «أنت ما زلت في الرابعة والعشرين من العمر، إيدن. من يدري كيف ستكون حياتك؟ المسألة ليست مسألة مال، إنما مسألة مبدأ. والدك يقوم بما هو صائب، وهو يعوّض عمّا كان يجب عليه أن يفعله منذ زمن. لا يحق لديلما أن تقف في طريقه. لقد قلت لها ذلك».

بسطت إيدن يديها بعجز: «أتعني أنكما ناقشتما الموضوع؟».

ـ لقد اتصلت بي.

ـ حقاً؟ متى؟

ـ حوالى الساعة الحادية عشرة.

ـ إذاً تكلمت معك فور مغادرتها المائدة؟

ـ إيدن أنا لم أكن هناك لأعرف.

ـ ولكنك عرفت كل شيء. هل كنت ستخبرني؟

ولم تستطع إيدن إخفاء الألم في صوتها: «تجعلني أظن أنك إلى جانبي، في حين أنك لا تزال تعمل كمستشار لديلما».

ـ كفى إيدن.

وأمسك بيدها لحظة يهدئها: «أعرف أنك تشعرين بالسوء. لكن ديلما أرادت نصيحة وأنا أعطيتها إيّاها».

كان عليها أن تواجه الحقيقة المؤلمة: «ألا تزال تشعر بالأسى حيالها؟».

ـ أنا أعرف نقاط ضعف ديلما وأعرف نقاط قوتك. أنت امرأة متفهمة ومتعاطفة...

ـ امرأة تشعر أيضاً بالغضب والخيبة. أن يكون المرء متعاطفاً لا يعني أن عليه تقبّل الإهانة.

شعرت أن دمها يغلي وأنها تتكلم بانفعال، فتوقفت فجأة: «آه، لمَ أتكلم هكذا؟ أنا آسفة. لن أتفوه بالمزيد. عليّ أن أقول لأبي إنني لن أمضي عيد الميلاد معه، وأعرف أن ذلك لن يعجبه».

لا لن يعجبه. فكر لانغ بذلك، فهو يعرف شريكه جيداً.

ـ القرار يعود إليك إيدن. عليك أن تتبعي قلبك.

أومأت إيدن وراحت تتكلم بهدوء وكأنها غائصة في الماضي: «جدي كان دائماً إلى جانبي. لقد أحب أمي أكثر من أي شخص في العالم. وهو يحبني أيضاً. لا أود أن أتركه وحيداً».

ـ إذاً عليك أن تذهبي إليه.

ـ ألن تحاول أن تثنيني عن ذلك؟

ـ لا. بل أوافق على قرارك.

ـ يا للمفاجأة!

توتّر وجه لانغ: «سوف أنسى أنك قلت هذا».

شعرت إيدن أن ملاحظتها بدت سخيفة لكن لم يتسن لها الوقت للاعتذار، فقد وصلا ولاحت أمامهما السيارات والمنزل السابح بالأضواء.

داخل المنزل الجميل، كانت الغرف تعج بالمدعوين وكانت إيدن قد رأت معظمهم في الحفلة التي أقامها والدها وديلما على شرفها. وفكرت في أن لارا قد تكون هنا لتزيد الطين بلّة. ولكن، لم يظهر لها أثر...

لم تكن السهرة مريحة لكليهما، فرغم أن لانغ بقي معها معظم الوقت، إلاّ أن التوتر بينهما راح يتزايد. فاجأها والدها بمزاجه المرح تلك الليلة. وفي كل مرة كانت إيدن تقترب منه، كان يضع ذراعه حول خصرها ويقول للجميع إنه والد هذه الشابة الجميلة. لكن عندما بدأ أوين يخبر الجميع أنهم سيرونها مجدداً في عيد الميلاد، أدركت أن عليها أن تفاتحه بالموضوع الليلة بالذات. وقد سنحت لها الفرصة أخيراً عندما راحت إحدى النساء تلوّح إلى لانغ لتلقي عليه التحية.

قال لانغ هامساً: «أعذريني للحظة. سألقي التحية على بات، لقد كانت في الولايات المتحدة السنة الماضية. عليك أن تقابليها».

بات؟ بدا من لهجته أن تلك المرأة تعجبه. بدت في الواقع جذابة وشديدة الثقة بنفسها.

همست إيدن لأبيها: «أبي، هل تمانع إذا تحدثنا قليلاً؟».

سألها أوين بابتسامة عريضة: «ما الأمر حبيبتي؟ هل الأمر خطير؟ أين لانغ؟».

وجال بنظره في الغرفة. لانغ لم يبتعد لحظة من قبل عن ابنته، الأمر الذي أسعده كثيراً.

ـ ذهب ليتحدث مع امرأة تدعى بات.

بدا أوين مسروراً: «هي ومارتي كانا مسافرين. من الرائع أنهما عادا. لا شك أنهما سوف يعجبانك. على أي حال، ما الذي أردت قوله عزيزتي؟».

ولفّ أوين ذراعه حول كتفي ابنته، خارجاً وإيّاها إلى الشرفة.

بدا لها والدها سعيداً بحيث بقيت عاجزة عن الكلام للحظة.

سألها أوين وقد لاحت على وجهه إمارات القلق: «ما الأمر؟».

أجلت إيدن حنجرتها ثم قالت: «أبي، سأمضي عيد الميلاد مع جدي».

أجفل أوين وكأنها داست على قدمه بكعبها العالي: «ماذا؟».

ـ أردت أن أخبرك من قبل ولكنك كنت تستمتع بوقتك.

بدا أوين مهدداً ثم غاضباً: «لا أصدق أنك تفعلين هذا، إنه عيد الميلاد الأول لنا معاً. لم تظنين أنني سعيد؟ لقد أخبرت الجميع أنني...».

أخفضت إيدن رأسها: «أنا آسفة كان عليّ التكلّم قبل الآن».

ـ يمكنك أن تغيري رأيك. في الواقع، هذا ما أتوقعه منك من أجلي ومن أجل روبي. ديلما سيخيب أملها أيضاً.

أرادت أن ترضيه ولكنها عقدت العزم: «لقد فكرت كثيراً بالموضوع أبي. جدي لم يتخطَّ بعد موت أمي».

تحداها أوين، محاولاً أن يبقي صوته خافتاً: «وأنا بلى؟».

ـ حب الوالد مختلف. لم يستطع جدي التركيز على أي شيء بعد وفاتها. الصدمة كانت مفاجئة ومدمّرة بالنسبة إليه.

ضحك أوين متهكماً: «أنت لا تدينين لذلك العجوز بشيء».

ـ بلى. جدي كان دائماً إلى جانبي. أبي، أتظن أنني لا أريد أن أكون معك ومع روبي؟ أنا أحبكما كثيراً.

كادت الدموع تنهمر من عينيها لكنها احتبستها: «سيكون أمراً قاسياً لو تركت جدي يمضي عيد الميلاد بمفرده. أنت لديك ديلما وروبي والكثير من الأصدقاء حولك، أما هو فليس لديه أحد».

ووضعت يدها على صدر أبيها: «أرجوك حاول أن تفهم».

لكن أوين لم يستطع أن يستوعب هذه الخيبة: «أنا آسف إيدن. لا أظنني قادر على ذلك. لِمَ أشعر بالأسى على جدك؟ لقد دمّر حياتنا».

ـ حياتك ليست مدمّرة أبي. لقد مررت بأوقات عصيبة ولكنك تخطيتها.

ـ لست واثقاً أن بإمكاني تقبّل الأمر. أعرف أنك فتاة طيبة ورقيقة القلب ولكنني أظن أنك تدينين لي بعيد الميلاد.

وتركها عائداً إلى الداخل.

* * *

وجدها لانغ مستندة إلى السياج، تحدق إلى الحديقة الجميلة المضاءة بالأنوار المتلألئة: «رأيت أوين يدخل».

واستند إلى جانبها: «يبدو من وجهه أنك أخبرته عن جدك».

ـ كنت أعرف أنه سيغضب.

ـ كان بإمكانك أن تغيري رأيك على ما أظن.

ـ لا، لن أفعل هذا.

واجهته، رافعة ذقنها: «على أبي أن يعتاد على القرارات التي أتخذها. لست أدري كم من الوقت سيعيش جدي بعد. موت أمي شلّه كليًا..».

ـ امنحي والدك بعض الوقت.

ـ كم من الوقت لدي؟ أنوي الرحيل عشية الميلاد. كما أن أبي يعرف حقيقة كره ديلما لي لكنه يتجاهل الأمر.

ـ الواقع أن أباك يمنح ديلما بعض الوقت لتهدأ. إنها في حالة صدمة، لكنهما سوف يتصالحان كالعادة.

ـ ها أنت مجدداً!

www.elromancia.com

وضع إصبعه بحنان تحت ذقنها: «أنا أنظر من الخارج. أنت لا تريدين لوالدك أن ينهي زواجه، أليس كذلك؟ هناك نساء كثيرات يردن الإيقاع به».

- بالطبع، لا أريده أن يفعل ذلك، ديلما متمسكة به وهي تهتم به كثيراً. كما أنها تدير المنزل بشكل رائع. وعندما أرحل أنا من طريقهما...

- سوف تصطلح الأمور. أعرف. سأتكلم مع أوين. ما رأيك أن نودع الآن مضيفينا؟

- طبعاً.

تكلمت بهدوء ولكنها علمت أن عليها أن تكون حذرة ومتماسكة.

* * *

في طريق العودة، كانت العاصفة تهدد بالهبوب.

- إلى أين نذهب؟

سألته ذلك عندما أدركت أن لانغ لم يسلك الطريق المؤدية إلى منزل أبيها: «ظننتك تقلّني إلى المنزل».

- ولِمَ تريدين العودة إلى المنزل؟ لتجلسي وحيدة؟

- ولكن العاصفة توشك على الهبوب. أين يمكننا أن نذهب؟

- إلى منزلي.

ولم ينبس بعد ذلك ببنت شفة إلى أن ركن سيارته في موقف البناية التي يسكن فيها: «هل أنت خائفة؟».

وكانت عيناه الفضيتان تلمعان في وجهه الوسيم. لم تتفوه إيدن بكلمة لكن قلبها راح ينبض بقوة. وقفا جنباً إلى جنب في المصعد الذي قادهما إلى شقته. كلاهما بقي صامتاً. كانت تعلم أنها على شفير الهاوية. فتح لانغ الباب وأشعل النور، فتراءى أمام إيدن منزل فسيح يشبه لانغ في تصميمه.

- إنه رائع. يشبهك تماماً.

- بماذا؟

وأخذ منها حقيبة يدها ووضعها على المنضدة بين أسدين جاثمين يزيّنان الردهة.

- ذوقك جميل. وأنت تحب الأشياء الجميلة.

- هذا ليس منزلاً. إنه مكان للاسترخاء. الشرفة تطل على مناظر خلابة. يمكننا أن نلقي نظرة قبل أن تهب العاصفة.

أما العاصفة الأخطر فكانت تلك الرغبة التي تجتاحه لمعانقتها! فتح الباب المؤدي إلى الشرفة وكان الهواء يتلاعب بالشتول المزروعة في الأحواض الجميلة. ورغم أن الشرفة مسقوفة، إلاّ أن المطر فاجأهما وبللهما. أسرع لانغ يحمي إيدن، واضعاً ذراعيه حول خصرها، معيداً إيّاها إلى الداخل: «يا إلهي! لقد تبلل فستانك».

- لا يهم.

التصق الفستان الأحمر بجسمها، فبدت مثيرة جداً وعندما لاحظت أنه لا يزال يتأملها، قالت: «حقاً لا يهم. ثم إن قميصك مبلل أيضاً».

- يمكنك أن تخلعي فستانك إن شئت وتجففيه في النشافة.

سألته وقد بدأت ترتجف من دون داع: «هل من مجفف للشعر؟».

فكر لحظة ثم قال: «نعم. لكنني نادراً ما أستعمله».

أرشدها إلى الحمام وعاد إلى غرفة الجلوس.

عندما عادت إيدن إلى غرفة الجلوس، كان لانغ مشغولاً بتحضير القهوة في المطبخ. أخذت نفساً عميقاً تهدىء به توترها.

عندما انضمت إليه في المطبخ، ألقى عليها نظرة مرحة: «هل كل شيء على ما يرام؟».

أومأت وهي تسوّي ثوبها: «استعملت مجفف الشعر وسوّي الأمر».

www.elromancia.com

كان يحاول أن يجعلها تشعر بالراحة ولكن شعوراً قويًا كان يدفعه إليها، فبدده بأسئلة خارجة عن الموضوع.

ـ هل تودّين السكر مع القهوة؟

ـ نعم ملعقة صغيرة.

ـ هل تودّين تناول شيء آخر؟ لم نتناول العشاء.

ـ آه! أنا آسفة. لقد أبعدتك عن أصدقائك.

ـ لا داعي للأسف.

ورمقها بنظرة كادت تخطف منها الأنفاس. وضع لانغ فنجاني القهوة على صينية فضية صغيرة وأشار إليها بأن تسبقه إلى غرفة الجلوس.

قالت وهي تحدق إلى الطقس العاصف في الخارج: «آمل ألاّ يكون روبي خائفاً».

ـ أظن أنه نائم الآن. ثم إن ماريا معه، إنها أشبه بمربية له.

ـ نعم، هذا يجعلني أشعر بالاطمئنان قليلاً.

جلست إيدن على الكرسي وقد وضعت ساقها تحتها. راقبها لانغ وهو يعطيها القهوة. كم تبدو جميلة!

قالت بحزن: «أبي غضب منّي. ليته يفهم وجهة نظري».

ـ إنه يريدك أن تبقي معه، ولكن لا تقلقي بهذا الشأن.

ـ ليس بيدي حيلة. لم أتوقع يوماً أن يكون الوضع مع عائلة أبي بمثل هذا التعقيد. افترضت أن ديلما لن تستقبلني مشرّعة ذراعيها، لكنني لم أكن مستعدة لعدائيتها تجاهي.

ـ ديلما يجب أن تجد حلاً لهذا، إنها ليست غبية. صلة الدم لا تربطك فقط بزوجها إنما أيضاً بابنها. أنظري كيف تقبلك روبي بسرعة.

ـ وأنا ممتنة جداً لذلك. أظن أنه لا يمكننا الحصول على كل شيء. صح؟

ـ السؤال هو ماذا ستفعلين بعد ذلك؟

نظر إليها عاجزاً عن إخفاء الرغبة في عينيه، فتدفقت في كيان إيدن مشاعر لا تعد ولا تحصى: «يعلم الله أنني لم أشعر يوماً بمثل هذه السعادة وبمثل هذه التعاسة في حياتي».

ـ إيدن، أنت تعرفين أنني مغرم بك.

اعترف لها بذلك، عالماً أن لا سبيل للتخلي عنها. فشعرت بأنفاسها تتقطع في حنجرتها.

ـ أنت رجل ديناميكي وجذاب.

ـ إذاً، ما الذي أسيء فعله؟

ـ لا شيء. أنت رائع.

ـ حقاً؟ عدم ثقتك بي أزعجتني الليلة.

ـ أنا آسفة. ما قلته كان سخيفاً. بالطبع أثق بك.

ـ اثبتي لي ذلك.

ـ كيف؟

ـ أتشعرين بأنك لا تعرفينني بما يكفي لكي تثقي بي؟

ـ وأنت لا تعرفني، أليس كذلك؟

ـ أودّ أن أعرفك وأعرف كل شيء عنك، جسداً وفكراً وروحاً وقلباً. هل ستسمحين لي يوماً بذلك؟

تسارعت نبضات قلبها وتصلّب ظهرها: «ماذا لو سئمت منّي؟».

ـ لا بدّ أنك تجهلين مقدار حبي لك.

تفتّح كيانها كله كزهرة ربيعية تحت أشعة الشمس. وراح قلبها ينبض بقوة لكل حركة من حركاته، وودت لو ترتمي بين ذراعيه لتعانقه، إلاّ أن جرس الهاتف أخذ يرن في تلك اللحظة بشكل أجفلهما معاً. كان الجو

www.elromancia.com

حميماً، هادئاً بحيث بدا رنين الهاتف كطلق ناري.

فكر لانغ للحظة بألاّ يجيب، إذ كان عاجزاً عن الكلام، إلا أنه نهض ورفع السماعة. أصغى لحظة طويلة ثم قال: «إنها معي أوين وهي بخير».

نهضت إيدن، محدقة إلى وجه لانغ الجاد: «هل هذا أبي؟».

أعطاها لانغ السماعة: «يريد التكلم معك».

ـ نعم أبي؟

وانهالت عليها الاعتذارات من الطرف الآخر: «افعلي ما شئت حبيبتي. سيكون أمامنا أعياد ميلاد كثيرة نمضيها معاً».

شعرت إيدن بالوهن والامتنان لتغيّر موقف والدها الذي تابع برقّة: «أفهم حبك وتعاطفك مع جدك. لقد اقترح عليّ لانغ أن نلتقي أنا وجدك من وقت إلى آخر».

استدارت إيدن لتنظر إلى لانغ وقد أشرقت عيناها: «قد يستغرق شفاء الجروح وقتاً طويلاً».

ـ حسناً، سأفعل ما بوسعي. ديلما غضبت مني أيضاً عندما أخبرتها. في الواقع كانت إلى جانبك. أنا مريع أحياناً.

وابتسمت إيدن رغم الدموع المترقرقة في عينيها: «أحبك».

ـ وأنا أحبك أيضاً. والآن سأدعك مع لانغ الذي أعتبره صديقاً جديراً بالثقة. أريدك أن تخبريني برأيك به في وقت لاحق.

ـ أبي لا يمانع أن أذهب إلى جدي.

قالت إيدن ذلك سعيدة وهي تتوجه نحو لانغ وكأنه مصدر كل حب وعزاء بالنسبة إليها: «حتى أنه وعدني بأن يلتقي معه كما اقترحت عليه».

ـ هذا خبر رائع إيدن. كلاهما سيشعر بالسعادة.

ـ أكاد أطير من الفرح.

ـ أنا أيضاً. تعالي واجلسي بقربي. سأصاب بالجنون إن لم أعانقك.

شعرت بشيء من الخجل ولكنها كانت تبادله شعوره هذا: «قال أبي إن ديلما وقفت إلى جانبي هذه المرة».

ـ حاولي أن تفهميها. لقد ناسبها موقفك هذا وهي لن ترتاح قبل أن تتزوجي.

ـ سيكون ذلك رائعاً إذا ما وجدت الرجل المناسب...

ـ يُستحسن ألاّ تنظري إذاً إلى غيري.

لم تكن تتوقع هذا الرد منه. وفي الحقيقة ترددت وكأنها لم تكن واثقة مما قاله: «عندما تقول أشياء كهذه، كيف يمكنني أن أفكر جيداً؟».

كانت عيناه تشعان سعادة وهو ينظر إليها: «هل تريدين منّي أن أكرر ذلك؟».

ـ نعم أرجوك.

ولمعت الدموع في عينيها مع أنها كانت تبتسم.

ـ تعالي إلى هنا أولاً.

ومدّ لها يديه، فأسرعت إليه، فاتحة ذراعيها فعانقها بقوة وحملها عن الأرض وكأنها خفيفة كالريشة.

ـ أحبك إيدن! أنت أشبه بالهواء الذي أتنفسه وإذا ابتعدت عنك أشعر بالاضطراب. عيناك جميلتان كالصباح. عرفت أنني سأقول لك هذا منذ اللحظة التي رأيتك فيها.

ـ لكنك كرهتني حينذاك.

ـ هذا ما أقنعت نفسي به. الأسباب كانت معقدة جداً. ظننت أنني رجل قادر على السيطرة على نفسه ولكنك زعزعت كياني وأشعلت النار فيّ. قلبت حياتي رأساً على عقب، كما فعل بي موت والدي.

ترقرقت الدموع من عيني إيدن: «إن أفراد أسرتك يعشقونك، أنت كل شيء بالنسبة إلى والدتك».

ـ وهي كذلك بالنسبة لي. لنعد إليك أنت يا حبي. ألا تشعرين بشيء نحوي؟

مدت ذراعيها لتحيط بهما عنقه: «وقعت في حبك منذ النظرة الأولى».

ضحك وانحنى ينظر في عينيها الصافيتين اللّتين عكستا عمق مشاعرها. ضمها إلى صدره بقوة ليضيعا معاً في عناق طويل.

كان حبه لها عميقاً قوياً جارفاً ولم يتصور لانغ يوماً أنه قد يحب امرأة بهذا الشكل. كل عصب وكل نقطة دم وكل ذرة من كيانه كانت تصرخ باسمها. أما هي، فاستكانت بين ذراعيه كالسكرى لشدة فرحتها.

بقيت تتأمل في عينيه، عاجزة عن سلخ نظرها عنه، كما لم يشبع هو من جمالها وروعتها.

ـ هل أنت سعيدة حبيبتي؟

ـ ألا ترى أنني أكاد أطير من الفرح؟

ضمّها إليه أكثر ودفن وجهه في شعرها.

ـ أريدك أكثر من أي شيء آخر في العالم، يا حبيبي.

ـ لا مجال للتراجع؟

ـ لا!

جعلها الحب تسبح في بحر عميق، لا تنضب مياهه. وقالت إيدن في غمرة مشاعرها: «أعرف تماماً أين أنا».

وهمست وهو يلفها بذراعيه: «قلبي يعرف. أنا في منزلي».

* * *